مجلة تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والإعلام
في العتبة الكاظمية المقدسة العدد ٤٥-٤٦
جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م السنة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

سارعوا إلى مغفرة من ربكم

العتبة الكاظمية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والإعلام

العدد ٤٥-٤٦ / جمادى الأولى - جمادى الآخرة
السنـــــة الرابعـــــة ١٤٣٨هـ
٢٠١٧م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
الوطنية ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣

زورونا
www.aljawadain.org

٦
١٤ كيف يقتبس المتطرفون الإسلاميون من القرآن الكريم
٢٤ القرآن الكريم وقياس سرعة الضوء
٣٠ الإمام الصادق عليه السلام وحقيقة الصوت

انطلاقًا من قول رسول الله محمد صلى الله عليه وآله:
ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده
تقيم الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والإعلام
دار القرآن الكريم
المحفل القرآني الأسبوعي
كل يوم سبت بعد صلاتي المغرب والعشاء في الصحن الكاظمي الشريف
فعلى الراغبين بالمشاركة مراجعة
دار القرآن الكريم في العتبة المقدسة لغرض المقابلة والترشيح

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
الشيخ نجم عبد الرضا

السلامة الفكرية
الشيخ عماد الكاظمي

التدقيق اللغوي
مهدي جناح الكاظمي

التصميم والإخراج الفني
عبدالله جاسم محمد

العودة إلى القرآن وعدله

تعاني الأمة الإسلامية صنوف المصاعب والمشاكل، ولا يصلح أمر آخر الأمة إلا بما صلح به أولها، ويقيناً أن التحول الكبير الذي حدث في الأمة أساسه ومنشؤه ومنبعه هو القرآن، ومن نزل عليه القرآن معاً، وقد وصف القرآن هذه الانتقالة الكبرى بالإخراج من الظلمات إلى النور (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)، والملاحظ أن نسبة الإخراج منسوبة للنبي ﷺ كونه القلب الذي ينزل عليه القرآن، وهو المسؤول عن التبليغ أولاً والتبيين ثانياً، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)، وبحكم عصمته لا بد أن يكون قد أدى ما عليه من البيان، بل لم يهتم الرسول الأكرم ﷺ بهذا البيان حال حياته فقط، بل جعل- وبأمر الله سبحانه- امتداداً له بعد وفاته فقد نصب ثقلاً ثانيا مع الثقل الأول (القرآن الكريم)، و أخبر ﷺ بعدم افتراق الثقلين حتى يردوا عليه الحوض مما يدل على استمرار الثقلين أولاً، فما دام القرآن موجوداً، هناك إلى جانبه إمامٌ من العترة الطاهرة، والشيء الآخر المدلول لعدم افتراق الثقلين، إن كل ما في أحدهما من العلوم يوجد عند الآخر، قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)، فنعلم من ذلك أن التبيان لكل شيء نجده عند العترة عليهم السلام، ولا نجد ذلك عند غيرهم، فالأحرى بالأمة الإسلامية أن ترجع وتعود إلى الكتاب وهو (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)، وهو الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، لكن بشرطٍ وضعه الرسول الأكرم ﷺ وهو مبلغ عن الله سبحانه، إن الهداية وعدم الضلال لا نحصل عليها إلا بالتمسك بالثقلين معاً لا بالتمسك بأحدها دون الآخر، أو رفضها معاً والبحث عن الهداية هنا وهناك.

✧ الشيخ عدي حاتم الكاظمي

الإمام الكاظم (عليه السلام) وآثاره في تفسير القرآن الكريم

الحلقة ٧

الشيخ الدكتور عماد الكاظمي

تحدثنا في الحلقة السابقة عن بيان ما يتعلق بآية تحريم الخمر والميسر في روايات الإمام الكاظم عليه السلام التفسيرية[1]، ونتحدث في هذه الصفحات القرآنية عن آية مباركة تتعلق بمسائل الاعتدال والوسطية في الإنفاق وأهمية ذلك، والتحذير من الإسراف والإقتار، مع بيان ما يتعلق بهما.

- الآية التاسعة/ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[2].

❖ عن محمد بن سنان[3] عن أبي الحسن عليه السلام: ((قال: القوام هو المعروف، ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[4] على قدر عياله ومؤونتهم التي هي صلاح له ولهم، و ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[5]))[6].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبين مسألة مهمة من المسائل التي استعرضتها الشريعة الإسلامية المقدسة، وبينت أحكامها وحدودها وآثارها، فالآية الشريفة في مقام بيان بعض الأحوال التي يمر بها الإنسان، وبهذا فهو يحتاج إلى نظام يحافظ عليه من كُلِّ أمر يؤدي به إلى الانحراف والخسران، فالإمام عليه السلام أراد أنْ يبيِّن ما يتعلق بحدود صرف الأموال على نفسه وعياله، وهذه مسألة شرعية مهمة، وقبل أنْ نبيِّن ما يتعلق بالرواية الشريفة نبيِّن أنَّ الآية الشريفة التي ورد فيها لفظ (القوام) التي فسرته رواية الإمام هي في مقام بيان صفات عباد الرحمن الذين ذكر الله تعالى في مدحهم والثناء عليهم اثني عشر صفة، ونحاول أنْ نتحدث عن موضوع الإسراف والإقتار وحالة الاعتدال بينهما الوارد في نص الآية والرواية الشريفتين من خلال فقرات متعددة:

❖ أولاً: تعريف (الإسراف، والإقتار، والقوام).

الإسراف: تَجَاوُزُ الحَدِّ في كُلِّ فِعْلٍ يُفْعَلُهُ الإِنْسَانُ، وإِنْ كَانَ ذَلِكَ في الإِنْفَاقِ أَشْهَرَ[7].

والإسراف قد يكون في القول أو الفعل أو الأموال أو غيرهما، فهو التجاوز في الحد مطلقاً، وهذا الحد قد يكون شرعيًا، أو عرفيًا، ومثله ما ورد في الإفراط كذلك.

الإقتار: تَقْلِيلُ النَّفَقَةِ، وهو بِإِزَاءِ الإِسْرَافِ وكِلاهُما مَذْمُومَانِ، وَرَجُلٌ قَتُورٌ وَمُقْتِرٌ، وَقَتَّرْتُ الشَّيءَ أي قَلَّلْتُهُ[8].

وفيه بيان لصورة من صور البخل التي تعاني منها بعض النفوس، فالإقتار يطلق على تقليل الصرف على النفس والعيال، ومَنْ يجب عليه أنْ ينفق عليه، فقد ورد: وَقَتَّرَ عَلَيْهِ قَتْرًا وَقَتُورًا ضَيَّقَ عَلَيْهِ في النَّفَقَةِ، ومنه «قَتَّرَ على عِيَالِهِ» إذا ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ[9].

القوام: العَدْلُ وَالاعْتِدَالُ. ومِنْهُ الاسْتِقَامَةُ أي الاعْتِدَالُ في الأَمْرِ، وَقَوَامُ الأَمْرِ نِظَامُهُ وَعِمَادُهُ[10].

ويراد بالقيام هو تنظيم الأمر وتعاهده ومراعاته والمحافظة عليه مما يُخاف منه عليه[11].

فمن خلال ما تقدم من كلمات العلماء في بيان معنى هذه المصطلحات الثلاثة يكون المعنى الإجمالي واضحاً للآية والرواية الشريفتين، فهي تعالج أمرًا سلبيًا يقوم به الإنسان، إما فرديًا، أو اجتماعيًا.

❖ ثانيًا: أقوال المفسرين.

ذكر المفسرون ما يتعلق بهذه الآية الشريفة وتفصيل ما يتعلق بها، ونذكر من ذلك إجمالاً:

١- قال «الشيخ الطوسي»: ((ثم عاد إلى وصف المؤمنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ أي لم يخرجوا عن العدل في الإنفاق يقال: فلان مسرف على نفسه، إذا أكثر من الحمل على نفسه في المعصية، فشبّه بالمسرف في النفقة، ﴿وَلَمْ

١- كان الحديث في بيان قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾. البقرة: ٢١٩.

٢- سورة الفرقان: الآية ٦٧.

٣- أبو جعفر محمد بن سنان الزاهري من الموالين والممدوحين، كوفي، من أصحاب الإمام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام، وقد ترضّى عليه الإمام الجواد عليه السلام، ولعلماء الرجال فيه أقوال أخرى. ينظر: السيد الخوئي، أبو القاسم علي أكبر: معجم رجال الحديث ١٧/ ١٦٠-١٧٢.

٤- سورة البقرة: الآية ٢٣٦.

٥- سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

٦- الشيخ الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي ٤٠٦/٦ باب (كراهية السرف والتقتير) الحديث ٨.

٧- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: مفردات غريب القرآن ص٣٣٠ (سرف).

٨- مفردات غريب القرآن ص٣٩٢ (قتر).

٩- الشيخ الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين ٤٤٧/٣ (قتر).

١٠- مجمع البحرين ١٤٤/٦ (قوام).

١١- ينظر: مفردات غريب القرآن ص٤١٦-٤١٧ (قوم).

يَقْتُرُوا) أي لم يقصروا عن العدل في الإنفاق، وهو مأخوذ من القترة وهي الدخان، والإقتار مشبه به في الإمحاق والإضرار، وقال أبو علي الفارسي: من قرأ (يُقْتِرُوا) بضم التاء أراد لم يقتروا في إنفاقهم؛ لأنَّ المسرف مشرف على الافتقار لسرفه، ومَنْ فتح التاء (يقتروا)[12] أراد لم يضيّقوا في الإنفاق، فيقصروا عن المتوسطين، فمَنْ كان في هذا الطرف فهو مذموم، كما أنَّ مَنْ جاوز الاقتصاد كان كذلك مذموماً. وبين ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ أي كان إنفاقهم بين ذلك، لا إسرافًا يدخل في حَدِّ التبذير، ولا تضييقًا يصيرُ به في حَدِّ المانع لما يجب))[13].

٢- قال «الفخر الرازي»: ((والقتر والإقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الإسراف، والإسراف مجاوزة الحد في النفقة. وذكر المفسرون في الإسراف والتقتير وجوهًا أحدها: وهو الأقوى أنه تعالى وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله أَمَرَ رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[14]، وثانيها: وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك أنَّ الإسراف الإنفاق في معصية الله تعالى، والإقتار منع حق الله تعالى، قال مجاهد: لو أنفق رجل مثل أبي قبيس ذهبًا في طاعة الله تعالى لم يكن سرفًا، ولو أنفق صاعًا في معصية الله تعالى كان سرفًا))[15].

إنَّ هذه الأقوال المتقدمة تؤكّد على مسألة واحدة مهمة وهي الوسطية والاعتدال في التعامل مع الأمور من غير إفراط ولا تفريط؛ لأنَّ الاعتدال هو فضيلة بين رذيلتين كما سيأتي، والآية تناقش ما يتعلق بخصوص التصرف بالأموال في جانب الطاعة مطلقًا، فهي غير ناظرة للمقابلة بين الطاعة والمعصية، فالمعصية لا يجوز الصرف فيها قليلاً أو كثيرًا، فالأمر من جهة المعصية منتفي بحاله؛ لأنَّ الآية الشريفة في مقام بيان صفات عباد الرحمن، الذين ينطبق عليهم عنوان العبودية لله تعالى في الإقبال على الطاعات، واجتناب المعاصي، وما هم عليه من التكامل في التعامل مع كلّ شيء، وقال السيد «الطباطبائي» بعد بيانه لألفاظ الآية الشريفة: ((والمعنى: وكان إنفاقهم وسطًا عدلاً بين ما ذكر من الإسراف والقتر فقوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ تنصيص على ما يستفاد من قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾، فصدر الآية ينفي طرفي الإفراط والتفريط في الإنفاق، وذيلها يثبت الوسط))[16].

ثالثًا: أقوال الفقهاء.

إنَّ هذه الرواية التفسيرية يشير فيها الإمام الكاظم ﷺ إلى مسألة إنفاق الإنسان على نفسه وعياله، وفيه إشارة إلى موضوع النفقة على الأهل والعيال (أي الذي تكون معيشتهم عليه) وقد بيَّن الفقهاء ما يتعلق بوجوب النفقة، ومقدارها، وما يتعلق بذلك، فيجب على الإنسان أنْ يكون على بينة مما يتعلق بأحكام النفقة في الأبواب المتعددة للحفاظ على الحدود الشرعية، ويمكن مراجعة الرسائل العملية للفقهاء لمعرفة تلك الأحكام.

رابعًا: الآثار المترتبة على الإسراف والإقتار والقوام.

هناك آثار أخلاقية كثيرة تترتب على محافظة الإنسان على منزلة الاعتدال وعدم الإفراط والتفريط التي ينبغي معرفتها، فضلاً عن التحلي بمكارم الأخلاق التي يجب على المؤمنين أنْ يتحلوا بها، قال الشيخ النراقي: ((وعند التحقيق يظهر أنَّ لكل فضيلة حدًّا معينًا، والتجاوز عنه بالإفراط أو التفريط يؤدي إلى الرذيلة، فالفضائل بمنزلة الأوساط، والرذائل بمثابة الأطراف، والوسط واحد معين لا يقبل التعدد، والأطراف غير متناهية عددًا))[17].

وقد وردت روايات متعددة عن النبي والأئمة ﷺ فيما يتعلق بأهمية الاقتصاد وعدم الإسراف والإفراط وما يتعلق بهما، ومراعاة الاعتدال في ذلك، وهذا ما حذرت منه روايات متعددة ومنها ما عن النبي ﷺ في بيان حد الإسراف والإقتار: ((مَنْ أعطى في غير حقٍّ فقد أسرف، وَمَنْ منعَ من حقٍّ فقد قترَ))[18] وهذا الحديث فيه تأكيد وبيان على الحذر في التعامل مع الأموال من حيث العطاء والإمساك في طاعة الله تعالى، وهذا يحتاج من المؤمن أنْ يكون مراقبًا لنفسه في كلّ الأحوال، ومما ورد عن الإمام علي ﷺ أنه قال: ((مَنْ كانَ له مالٌ فإيَّاهُ والفسادَ، فإنَّ إعطاءَكَ المالَ في غيرِ وجههِ تبذيرٌ وإسرافٌ، وهو يرفعُ ذكرَ صاحبِهِ، في الناسِ، ويضعهُ عندَ اللهِ))[19] فالحديث واضح في تحذير الإنسان من التبذير والإسراف كما ورد في الآية المباركة والرواية التفسيرية، والتي من أهم آثار هذا التجاوز هو خسران الله تعالى، والابتعاد عنه.

وأما ما ذكر في أهمية الاقتصاد في الإنفاق من غير إسراف وتبذير فقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ: ((ضمنتُ لمَنْ اقتصدَ أنْ لا يفتقرَ، وقال الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ والعفوُ الوسطُ، وقال اللهُ عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ والقوامُ الوسطُ))[20].

ختامًا أقول: إنَّ الإمام في هذه الرواية استند إلى تفسير القرآن بالقرآن من خلال الرجوع إلى آيات أخرى لبيان المعنى المراد للفظي (القوام، والقدر)، والاستشهاد بها، وهذا القسم من أهم أقسام التفسير بالمأثور، الذي يعتمده المفسرون في تفاسيرهم، وعلى هذا نرى أنه قال بأنَّ القوام ما هو معروف عند الناس من دون إسراف أو إقتار، مع المحافظة على مقام وشأنية الإنسان في نفسه وأهل بيته ومَنْ يجب الإنفاق عليه، وأرى أنَّ في قوله (عليه السلام): (على قدر عياله ومؤونتهم التي هي صلاح له ولهم) يظهر كمال التشريع الإسلامي في الحفاظ على الإنسان من كلّ سوء، أو ما لا يليق به.

هذا ما حاولت بيانه مما يتعلق بهذه الرواية التفسيرية الشريفة للإمام الكاظم ﷺ، والتي ذكرها كثير من العلماء والمفسرين، وفي ذلك دلالة واضحة جلية على وحدة منهج الثقلين (القرآن والعترة) في تبليغ أحكام الشريعة الإسلامية، وبيانها للناس، فضلاً عن الحفاظ عليها من التحريف والتزييف، فنسأله تعالى التوفيق بالتمسك بهما، وإلى لقاء قادم مع روايات تفسيرية أخرى.

١٢- للقراء السبعة في هذه الكلمة قراءات ثلاث: (يَقْتُرُوا) قرأها حمزة وحفص عن عاصم، و(يُقْتِرُوا) قرأها: نافع المدني وابن عامر الدمشقي والكسائي الكوفي وشعبة عن عاصم، و(يَقْتِرُوا) ابن كثير وأبو عمرو البصري. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية ٤/٢٩٤.

١٣- محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن ٧/٥٠٧.

١٤- سورة الإسراء: الآية ٢٩.

١٥- محمد بن عمر: التفسير الكبير ٢٤/٤٨٢.

١٦- محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ١٧/٢٤٧.

١٧- النراقي، محمد مهدي ت١٢٠٩هـ: جامع السعادات ١/٥٩.

١٨- الريشهري، محمد: ميزان الحكمة ٤/١٧٢٨ باب (الإسراف) الحديث ٨٤٨٧.

١٩- المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ٧٥/٩٧.

٢٠- الكافي ٤/٥٢.

قرّاؤنا .. حفّاظنا .. نبراس عراقنا

استضافت العتبة الكاظمية المقدسة مسابقة النخبة السنوية التاسعة لحفظ القرآن الكريم وتلاوته لاختيار ممثلي العراق للمسابقات الدولية التي أقامها ديوان الوقف الشيعي/ المركز الوطني لعلوم القرآن بالتعاون مع دائرة العتبات المقدسة والعتبة الكاظمية تحت شعار: (قرّاؤنا .. حفاظنا .. نبراس عراقنا) في قاعة أسد الله الحمزة بن عبد المطلب في الصحن الكاظمي الشريف، بحضور معالي رئيس ديوان الوقف الشيعي سماحة السيد علاء الموسوي والأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة أ.د. جمال عبد الرسول الدباغ وأعضاء مجلس الإدارة ومسؤولي دور القرآن الكريم في العتبات المقدسة والمزارات الشريفة ونخبة من ممثلي المؤسسات القرآنية وعدد من الشخصيات المهتمة بالشأن القرآني في العراق.

أ.د. جمال عبد الرسول الدباغ

معالي السيد علاء الموسوي

❖ حسين علي السعدي

استُهلت فعاليات المسابقة بتلاوة مباركة من الذكر الحكيم وقراءة سورة الفاتحة ترحماً لشهداء العراق، بعدها ألقى مدير المركز الوطني لعلوم القرآن الأستاذ رافع العامري كلمة بهذه المناسبة قائلاً: (يشهد بلدنا الحبيب نهضة قرآنية واسعة، تنوع فيها العمل على مختلف الجهات القرآنية، مما أدى هذا الأمر إلى بزوغ طاقات قرآنية متعددة، فكان لزاماً على هذا الصرح القرآني المتمثل بالمركز الوطني لعلوم القرآن أن يضع برنامجاً متكاملاً يتكفل رعاية هذه الطاقات وتهيئتها على أتم وجه لتمثيل العراق في المسابقات والمحافل الدولية..).

بعدها ألقى رئيس ديوان الوقف الشيعي سماحة السيد علاء الموسوي كلمة بهذه المناسبة بيّن فيها قائلاً: (إن قاعدة التعليم في البلاد الإسلامية هو القرآن الكريم، فاليوم نجدها قد اختلفت في بلادنا وخصوصاً عند الفئات الناشئة، فكان من الضروري أن نجد برامجاً جديدة ونركز على حفظ وتلاوة القرآن الكريم وتعلم علومه من خلال إقامة الدورات المستمرة والمسابقات في المساجد والحسينيات والاهتمام بالمسابقات لسد نقص التعليم الجذري عند طلبتنا في الوقت الذي انصرفوا فيه بعيداً عن حفظ القرآن الكريم وتجويده، بل أصبح وللأسف الشديد «هواية»

فلا بد من الرجوع للقرآن الكريم وبما أمرنا به رسول الله ص في قوله: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا).

ثم ألقى الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة كلمة بهذه المناسبة المباركة قائلاً: (من دواعي السرور أن نلتقي في هذا المكان المبارك رحاب الإمامين الجوادين ع، مؤكدا: (أن العترة هم عِدلُ القرآن، وكتاب الله هو دستور الحياة)، وأضاف: (إلى جانب تعلم القرآن فنحن بحاجة أيضاً إلى أن نجسد لغة القرآن الكريم في حياتنا، إذ أنها اليوم في خطر، ونحن مهددون بغزو ثقافي مستمر أوله هدم لغتنا، وكلنا يعلم أن المعجزة الخالدة للقرآن الكريم هي البلاغة والبيان الواردان فيه، فاللغة هي الهوية وإذا كانت هذه الهوية في خطر فنحن كذلك في خطر فلا بد من الحفاظ عليها).

كما شهدت فعاليات المسابقة القرآنية مشاركة لفرقة إنشاد الجوادين، وتوزيع الدروع والهدايا على المؤسسات والجهات المنظمة لتلك المسابقة، واستُكملت فقراتها بالاستماع إلى التلاوات القرآنية المباركة من قبل المتسابقين المشاركين.

وعلى هامش فعاليات المسابقة أجرت مجلة «ق والقرآن المجيد» سلسلة من اللقاءات للتعرف على طبيعة اللجان والنشاطات تحدث لنا الحاج كريم الياسر عضو اللجنة العليا المنظمة للمسابقة والمشرف على لجنة التحكيم قائلاً: (أن الاستعدادات كانت منذ شهور عدّة من خلال مخاطبة مديريات الأوقاف والملاحظيات في جميع المحافظات والأقضية والنواحي والإحاطة بكل القرّاء المتميزين ساهم بها (٨٤) حكماً، لذا بدأنا بإقامة المسابقات التمهيدية في كل محافظة حتى ترشح من خلال تلك المنافسات (١٦) قارئاً و(١٦) حافظاً وهم اليوم يتنافسون لإحراز المراكز الأولى المتقدمة).

وذكر الشيخ إياد الكعبي عضو اللجنة العليا المنظمة للمسابقة: (إن مركز علوم القرآن شكل لجان عدة وكان من بينها اللجنة العليا المنظمة والتي كانت مهمتها الإشراف على فعاليات المسابقة وتنظيم جلساتها، وتميزت مسابقة هذا العام باشتراك نخبة من القرّاء الجدد مما يعبر على التطور المستمر للواقع القرآني في كل مجالاته، لأن العراق يمتلك طاقات قرآنية وإقرائية).

وكان لنا لقاء مع الحاج سلمان العبيدي متحدثا لنا عن تكريمه قائلاً: (أنا فخور بهذه التكريم الذي حصلت عليه من جوار الإمامين الجوادين ع، وكذلك أفتخر بهذه الثلة من القرّاء)، كما أشار إلى: (إن الساحة القرآنية تحتاج منا الكثير من العطاء، فمنذ العام ١٩٥٢ عندما كنت مدرساً في جامع التميمي في منطقة الكسرة ببغداد وتخصصت بالصوت والمقامات ساهمت في تطوير القراءة العراقية فالحمد لله الذي وفقنا لخدمة كتاب الله العزيز).

وتحدث قارئ العتبة الكاظمية المقدسة الشيخ محمد حسين الشامي عن تكريمه بهذه الكرنفال القرآني قائلاً: (أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة لاحتضانها هذه المسابقة، وسررت باحتفائهم بنا، ونسأل الله العلي القدير أن يبارك في عمل القائمين عليها، ويضاعف مثوبتهم ويرزقهم الإخلاص في ذلك، وأن يجزيهم خير الجزاء).

وعن طبيعة الأجواء العامة للمسابقة تحدث مدير دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة الحاج جلال علي محمد قائلاً: (تم الاتفاق مع المركز الوطني لعلوم القرآن على تهيئة الأجواء المماثلة للمنافسات الدولية لذلك حرصت الأمانة العامة للعتبة المقدسة على توفير قاعة خاصة باللجنة التحكيمية منعزلة عن قاعة المنافسة ويتم من خلال شاشة كبيرة متابعة القرّاء المتنافسين كما كانت أوقات التنافس منحصرة عصرا فقط كما هو معمول به في المسابقات الدولية حرصا على راحة القرّاء والحفّاظ وإعطائهم وقتا كافيا للتهيؤ والتحضير).

وفي الحفل الختامي أُعلنت أسماء الفائزين في المسابقة، من الحفّاظ فاز بالمركز الأول مروان عواد جهاد من محافظة البصرة، أما في المركز الثاني مجيب محمد من محافظة ديالى، وفي المركز الثالث مصطفى تحسين علي من محافظة بغداد، أما الفائزون من القرّاء فكان بالمركز الأول فلاح زليف عطية من محافظة المثنى، والثاني ليث رحيم من محافظة الديوانية، ثم في المركز الثالث كان قاسم يعسوب من محافظة بابل بعدها تم تكريم الفائزين واللجنة التحكيمية واللجان الساندة كما قدم مدير المركز الوطني لعلوم القرآن الشيخ رافع العامري شهادة تقديرية للأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تثمينا لجهودها في إنجاح المسابقة.

من الجدير بالذكر أن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية تحرص على دعمها لمشاريع الحركة القرآنية، وحث تلك المواهب والطاقات وتنميتها وتشجيعها والاحتفاء بها عند مشاركتها أو احتضانها للمسابقات والمحافل القرآنية المحلية والدولية.

الحاج كريم الياسر

الشيخ اياد الكعبي

الحاج سلمان العبيدي

محمد حسين الشامي

المسابقة الربيعية الأولى
لدورات حفظ القرآن الكريم

نهج واضح وخطوات مباركة للأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة في دعمها ورعايتها للمسيرة القرآنية المباركة، وتنمية الوعي القرآني وتجذير تلك الثقافة لدى أبناء مجتمعنا الإسلامي واستثمارها أفضل استثمار والسعي إلى تنشئتهم نشأة إسلامية صحيحة تنسجم مع تعاليم ديننا الحنيف وأخلاق النبي الأكرم محمد ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، نظمت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والإعلام - دار القرآن المسابقة الربيعية الأولى لدورات حفظ القرآن الكريم، حيث شارك فيها (٣٩) متسابقاً من كلا الجنسين، وأعلنت نتائج المسابقة بالفوز في المراكز الأولى الثلاث لحفظ (خمسة أجزاء) من القرآن الكريم كل من المتسابق حسين سليم، وصدر الدين حسين، ورقية جعفر، وكذلك قد فاز بحفظ (ثلاثة أجزاء) المتسابقة مريم هادي، وبتول حيدر، وحسين علي، أما بحفظ (جزء واحد) فكان في المركز الأول دعاء جعفر، وجعفر ميثم، وتمارة صفاء.

في الوقت ذاته تحدث إلينا مسؤول دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة ورئيس اللجنة التحكيمية المهندس جلال علي محمد عن أجواء هذه المسابقة قائلاً: بدايةً نوجه شكرنا وتقدير إلى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة لرعايتها واهتمامها بنشاطات دار القرآن الكريم، وإن هذه المسابقة كان هدفها تشجيعي وليس الخروج بمراكز معيّنة بالرغم من أن التنافس مطلوب والسعي إلى إعدادهم وتشجيهم في المسابقات القادمة، حيث حَكَّمَ في هذه المسابقة كل من: الأستاذ لؤي الطائي في جودة الحفظ والسيد عبد الكريم قاسم في قواعد التلاوة وكان الشيخ عباس المنشداوي في الصوت النغم والحافظة بتول جبار في الوقف والابتداء.

واختتمت المسابقة بتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على اللجنة التحكيمية والفائزين من فيض بركات الإمامين الجوادين عليهما السلام.

القارئ الشيخ رافع العامري محاضرا في العتبة العباسية المقدسة

ضمن النشاطات الخارجية لقارئ العتبة الكاظمية المقدسة القارئ الشيخ رافع العامري، ألقى محاضرات في دروس أحكام التلاوة نظريا وعمليا في الدورة التطويرية للمهارات الخاصة بتدريسيي أقسام علوم القرآن في الجامعات العراقيّة، وتعد هذه الدورة إحدى الدورات التخصّصية التي تُقيمها العتبة العباسية المقدسة من أجل المساهمة في الرقيّ بالمستوى العلمي والعملي للتدريسيين والعمل على تبادل الأفكار والرؤى القرآنية التي تصب في خدمة العمليّة التدريسية الخاصة به والتي استمرت أسبوعا كاملا واختتمت بحضور المتولي الشرعي للعتبة العبّاسية المقدّسة سماحة السيد أحمد الصافي (دام عزّه) وعدد من أعضاء مجلس إدارة العتبة المقدّسة فضلاً عن المشتركين في هذه الدورة الذين وصل عددهم الى (٢٥) مشتركاً من مختلف الجامعات العراقيّة.

سورة العلق

القسم الثاني

الشيخ نجم عبد الرضا الدراجي

كان القسم الأول من السورة المباركة - وهو أول القرآن نزولاً - ، تعداداً للنعم الإلهية من القراءة والعلم والتعليم بالقلم، و ذكر السبب وراء طغيان الإنسان وهو الشعور بالاستغناء، ومن نماذج الطغيان هو ان الطاغي لا يكتفي بعدم الرضوخ للحق بل يتعدى ذلك لمحاربة الحق والمنع منه، فيبدأ القسم الثاني بكلمة ﴿أَرَأَيْتَ﴾ والتي تكرر ثلاث مرات في السورة المباركة، وهي تفيد التعجب في المواضع كلها، ويراد به الإخبار عن قبح حال المخبر عنه مثل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ فهو تعجب يستبطن الإنكار، والحالة المستنكرة هنا في السورة المباركة هي نهي المصلي عن الصلاة والتي هي من اجلى مظاهر العبودية، فهذا الطاغي (أبو جهل أو غيره) لم يكتفِ بعدم الصلاة وعدم العبودية لله بل تعدى ذلك إلى النهي عن العبادة وتنكير المنهي عن الصلاة للتفخيم والتعظيم، وعندما تذكر العبودية المحضة وبلا إضافة تنصرف إلى قمة العبودية المتجسدة في الرسول الأكرم ﷺ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، فالطاغي يتعدى على العبد المطلق ﷺ ويحاول نهيه عن الصلاة، والدليل المؤيد لذلك نهي الله سبحانه لرسوله الأكرم ﷺ عن إطاعة هذا الطاغي وأمره بالسجود والتقرب، وأختلف في ﴿أَرَأَيْتَ﴾ الثانية و الأصح الاختلاف على من هو المدخول، يعني من هو ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ هو العبد المنهي أو الطاغي الناهي فيكون المعنى على الاحتمال الأول: ما أقبح فعل الناهي وهو ينهى من يعرف انه على الهدى، وعلى الاحتمال الثاني يكون إن الناهي إذا كان على الهدى فماذا يجب عليه إن يفعل، طبعا عليه ان لا ينهى العبد عن الصلاة، ولم يقتصر على كونه على الهدى بل يضاف إلى ذلك او من هو بديل عنه الأمر بالتقوى ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ فهو مهتدي وهادي ، وعلى كلا الاحتمالين إن الناهي أو المنهي يعلم بان الذي خلق الخلق يعلم بهم ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ومن كان يعلم بان الله يراه فلا بد ان لا يطغى بل يكون عبداً، ولم تختلف كلمة المفسرين بمدخول ﴿أَرَأَيْتَ﴾ الثالثة ففاعل التكذيب بآيات الله والإعراض عنها ، هي من أفعال الطاغي الناهي، كل هذه المقدمات توطئة لذكر نهاية الطاغية وتهديده، ويبدأ التهديد بكلمة ﴿كَلَّا﴾ وهي كلمة زجر وردع وتهديد ان عاقبة عدم الانتهاء من هذا العدوان العذاب ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، والسفع من الناصية هو الجر بقوة من شعر مقدم رأسه وفيه ما فيه من العذاب والإذلال، وفيه أيضا إن هذه الناصية التي كانت تكذب بالله وآياته تكون هي مبدأ العذاب لذلك وصفت بالكذب والخطأ مجازاً لان صاحبها هو الكاذب الخاطئ ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، ولا يخلصه من هذا العذاب احد وأن كثر إتباعه في الدنيا فالقرآن يأمر بدعوة أهل مجلسه الذي كان يفخر بكثرتهم في الدنيا وهذا الأمر لبيان عجزهم وعدم قدرتهم لفعل شيء نافع لصاحب النادي ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾، وفي المقابل هناك دعوة الله سبحانه للملائكة الموكلين بالنار ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ والذين لا يستطيع احد أن يدفع عن نفسه ما يصبوه عليه من العذاب، بخلاف أهل نادي الطاغي الناهي، وتختم السورة المباركة بنهي الرسول الأكرم ﷺ عن إطاعة هذا الطاغي وأمر بالعبادة او الاستمرارية بها ، ويستبطن ذلك إن الناهي ليس سلطان له على الرسول ﷺ فلا يمسه بضر ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ وهي الآية المباركة دلالة على إن العبد في حالة السجود يكون قريباً من الله سبحانه.

الصَّرُ والحَرثُ

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

تحدث القرآن الكريم كثيراً عن موضوع عدم انتفاع الكفار من العنصر البشري كطاقة لتحقيق الأهداف المرجوة، وعدم انتفاعهم من الثروة الاقتصادية مهما كثرت واستفادت من قبلهم وصرفت في وجوه الصد عن سبيل الله، أو صرفت في وجوه العبث واللهو ما شاكل ذلك من معاصي وذنوب كثيرة، وقد تشمل بعض وجوه البر كإكرام الضيف وإغاثة الملهوف، وغير ذلك مما قد يصدر من الكافر بدون نية القربة إلى الله، ففي كل هذه الحالات وغيرها من أحوال الكفار، ومن أهم الطاقات البشرية (الأولاد) وهي لا تنفع يوم القيامة ﴿يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[2]، وفي الجانب المالي ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾[3]، ويجمع الاثنين وصف يوم القيامة بـ﴿يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾[4]، وحقيقة ما ينفع هو المجيء بالقلب السليم والتقرب إلى الله سبحانه ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ والقرب الإلهي والزلفى إليه سبحانه مكانتها في هذه الدنيا والتي هي مزرعة الآخرة فكل ما يزرع هنا يحصد هناك، فكل أعمالهم لا تنفع في الآخرة، وربما يتوسع معنى عدم الانتفاع ليشمل هذه الحياة الدنيا أيضاً، فلا يصلون إلى مقاصدهم لأنها خلاف أمر الله وإرادته، وتبدأ الآيتان بالتأكيد على حقيقة كون ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهو وصف جامع لأنواع كثيرة منها المشركين والمعاندين والمنافقين وكل من لم ينتحل الإسلام ديناً، وتؤكد عدم انتفاعهم بالأموال والأولاد (أي انتفاع- ولو كان ضئيلاً- ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[5] وتنكير كلمة (الشيء) لدلالته على عدم انتفاعهم بأي مستوى وبأي مقدار، ثم تضيف الآية على عدم النفع هذا أنهم يستحقون الخلود في العذاب ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وهي نتيجة مؤلمة لا ينبغي للعاقل أن يسير إليها، ثم يضرب القرآن مثلاً لإنفاقهم أموالهم بدون مراعاة التوجيهات الإلهية ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهم كفار والكفر يصبغ كل تصرفاتهم وأفعالهم، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ والصر في اللغة هو الشد بقوة والمراد في المورد الريح الشديدة المصاحبة للبرد الشديد أو الصر الشديد، هذا الريح وبهذا المستوى يصيب الزرع فلا يبقي منه شيئاً، فيترك الأرض خالية من الزرع وأصوله ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾، وسبب هذه الإصابة أن مالكي هذا الزرع من أهل الظلم فجزوا بذلك ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فهذا الصر في الريح عقوبة لظلمهم، والملاحظ أن الظلم منهم وقع على أنفسهم، فكل من يعاند الله سبحانه يظلم نفسه أولاً بتعريضها للعذاب الدنيوي والأخروي، ثم يؤكد القرآن على تنزيه المولى سبحانه عن الظلم، فلا يصدر منه بل ما يصدر منه هو جزاء الظلم وليس الظلم الابتدائي ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

١ - سورة آل عمران، الآيتان ١١٦-١١٧.
٢ - سورة لقمان، الآية ٣٣.
٣ - سورة آل عمران، الآية ٩١.
٤ - سورة الشعراء، الآية ٨٨.
٥ - سورة سبأ، الآية ٣٧.

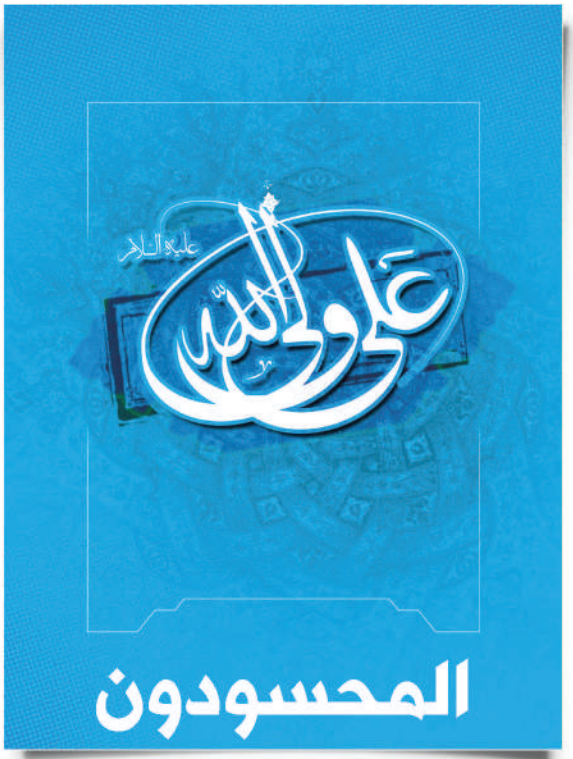

هُم أهلُ البيت عليهم السلام

❖ محمد عبد الحسين المالكي

مما أُثر تأويله من آي الكتاب في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والعترة الطاهرة عليهم السلام قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[1]، فعن محمد بن فضيل عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (يا أبا الصباح أما سمعت الله يقول في كتابه: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ..) الآية، قلت: بلى أصلحك الله، قال: نحن والله المحسودون. ونظر خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له علي عليه السلام: أما ترى كيف أحسد على فضل الله بموضعي من رسول الله وما رزقنيه الله من العلم فيه، فقال خزيمة:

رأوا نعمة لله ليست عليهم
عليك وفضلا بارعا لا تنازعه
من الدين والدنيا جميعا لك المنى
وفوق المنى أخلاقه و طبايعه
فعضُّوا من الغيظ الطويل أكفهم
عليك ومن لم يرض فالله خادعه[2]

١- سورة النساء، الآية ٥٥.
٢- فرائد السمطين، الحموئي، ج ٢، ص ٢.

و(حكى أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل - وهو من علماء جمهور المسلمين - كلاما جليلا في سبب عداوة الناس لمولانا علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم قال بإسناده إلى أبي الهيثم بن التيهان: إنه قام خطيبا بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال: إن حسد قريش إياك على وجهين، أما خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك منافسة في الملأ وارتفاع الدرجة، وأما شرارهم فحسدوك حسدا أثقل القلوب وأحبط الأعمال؛ وذلك أنهم رأوا عليك نعمة قدّمها إليك الحظ وأخّرهم عنها الحرمان فلم يرضوا أن يلحقوا حتى طلبوا أن يسبقوك فبَعُدت والله عليهم الغاية وقطعت المضمار، فلما تقدمتهم بالسبق وعجزوا عن اللحاق بلغوا منك ما رأيت وكنت والله أحق قريش بشكر قريش، نصرت نبيهم حيا وقضيت عنه الحقوق ميتا، والله ما بغيهم إلا على أنفسهم ولا نكثوا إلا بيعة الله، يد الله فوق أيديهم فيها، ونحن معاشر الأنصار أيدينا وألسنتنا معك، فأيدينا على من شهد، وألسنتنا على من غاب)[3].

٣- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحسكاني، ج١، ص ١٨٦. وإقبال الأعمال، السيد رضي الدين بن طاووس، ج٢، ص ٢٥٣

وفي تفسير السمعاني: (عن مجاهد، وجماعة: أراد به (الضمير هم) محمدا وحده، وقال قتادة: أراد به العرب؛ حسدهم اليهود ببعث النبي منهم، وفيه قول ثالث: أراد به: محمدا وأصحابه، وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر: نحن الناس..)[4]، وفي تفسير الميزان ما يفنّد بقية الأقوال التي ذكرها السمعاني ويخصّها بالنبي وآله قال: (والمراد بالناس على ما يدل عليه هذا السياق هم الذين آمنوا، وبما آتاهم الله من فضله هو النبوة و الكتاب والمعارف الدينية، غير أن ذيل الآية: (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ)، يدل على أن هذا الذي أطلق عليه الناس من آل إبراهيم، فالمراد بالناس حينئذ هو النبي ﷺ، وما انبسط على غيره من هذا الفضل المذكور في الآية فهو من طريقه و ببركاته العالية) وقد ذكر العلامة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾[5]: إن آل إبراهيم هو النبي وآله)[6].

٤- تفسير السمعاني، السمعاني، ج١، ص ٤٣٧، بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨، ص ٩٩.
٥- سورة آل عمران، الآية ٣٣.
٦- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج٤، ص٣٧٦.

إعجازُ القرآن

القسم الأول

العلّامة الشيخ محمد حسن آل ياسين (رحمه الله)

الحديث عن القرآن الكريم حديث متعدد الجوانب واسع الأبعاد بعيد الأغوار، ومهما أطال المتحدّث في الكلام وأسهب في القول وأوتي من المقدرة على الاسترسال فلن يبلغ بعض غوره أو يصل إلى جزء صغير من مداه الشاسع غير المحدود، وعلى الرغم من سعة مجالات القول وجوانب البحث فيه فسيبقى في الطليعة من كل ذلك كونه معجزة هذا الدين وشاهد صدق نبيِّه الأمين. ولما كانت الشريعة الإسلامية شريعة الله الباقية إلى يوم القيامة والدائمة ما دامت السماوات والأرض، كان لا بدَّ لدستورها ومصدر بقائها أن يظلّ باقياً معها خالداً خلودها، لأن الشريعة الدائمة لا تستغني عن المعجزة الدائمة التي تشهد بصدق هذا الدين وكونه من الله تعالى رب العالمين. وللقرآن عند الله تعالى أهمية خاصة وفضل كبير، لن تدرك شأوه الكلمات ولن تبلغ حدَّه التعابير، وكيف لا يكون له مثل هذا الفضل والشأن وهو كلام الله العظيم، ومعجزة نبيه الكريم، ورمز خلود هذه الشريعة المباركة، ومجمع الهدى والخير والرحمة للإنسانية المعذبة الملفَّعة بالظلام ﴿إِنَّ هذا القرآن يهدي لِلَّتي هي أَقْوَم﴾[1] ﴿هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقين﴾[2] ﴿كِتابٌ أَنزلناه إليك لتخرج الناسَ من الظلمات إلى النور﴾[3].

وقد ورد في الأثر عن النبي ﷺ قوله: (فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[4].

كما روى الحارث الهمداني عن أمير المؤمنين -في حديث طويل- قوله عليه السلام: (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم - إلى أن يقول: (هو الذي مَنْ قال به صدَق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر و من دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم)[5].

وبالنظر إلى هذا الشأن الكبير الذي حبا الله به كتابه المجيد بلغت قراءته حدّاً عظيماً من الفضل، وأصبحت سبيلاً إلى مراتب من الأجر ربما لا يبلغها المسلم من غير هذا الطريق، وقد تواترت الروايات عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام تحث الأمة على تلاوة الكتاب وقراءته آناء الليل وأطراف النهار، حتى جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فَيُكْتَبُ له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات ويُمحى عنه عشر سيئات)[6].

والحديث النبوي الشريف يقول: (مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها)[7].

والشيء المستفاد من مجموع ما ورد في الحثّ على قراءة القرآن أن القراءة ليست غاية بحدّ ذاتها، وإنما أُريد بها أن تكون طريقا إلى أدراك معاني القرآن ومراميه، ولذلك ورد الحث المؤكد على التدبر في القرآن والتأمل في مقاصده وأهدافه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، وهذا بديهي في العقل ولو لم يرد به النص، لأن القرآن هو الكتاب الذي أنزله الله هدىً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان، ولا يمكن السير على هداه والعمل ببيناته إلاّ بعد فهمها والإحاطة بمقاصدها، وفي الرواية عن الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام قوله: (آيات القرآن خزائن، فكلما فتحت خزينةً ينبغي لك أن تنظر ما فيها)[8].

وإذا كان في مقدمة فوائد التدبر في آيات القرآن تبيين النهج السوي وتصحيح العمل للمسلم فإن له فائدة رئيسة أخرى لن يستغني عنها كل مقر بهذا الدين، تلك هي فهم إعجاز القرآن وإدراك أنه المعجز الخالد الذي لا يأتيه الباطل ولا يدنو إليه الشك.

مجلة البلاغ:
(العدد ٨، السنة٢، رمضان ١٣٨٨هـ، ص٨٠-٨٣)

١- سورة الإسراء، الآية٩.
٢- سورة آل عمران، الآية١٣٨.
٣- سورة إبراهيم، الآية١.
٤- بحار الأنوار، المجلسي: ١٩/٦.
٥- سنن الدارمي: ٤٣٥/٢.
٦- الوسائل: ٣٧٠/٢.
٧- تفسير القرطبي: ٦/١.
٨- الوافي، الفيض الكاشاني: ٢٦٤/٥.

كيف يقتبس المتطرفون الإسلاميون من القرآن الكريم

بقلم: (جيفري ر. هالفيرسون)، (ر. بينيت فيرلو)، (ستيفين ر. كورمان)

ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

مقدمة

يحلل هذا التقرير كمّياً الكيفية التي ينهجها المتطرفون الإسلاميون في استخدام القرآن في بثّ رسائلهم. من أجل ذلك قمنا بجمع البيانات من قاعدة بيانات نصية للإسلاميين المتطرفين أنشأها مركز الإعلام الاستراتيجي (CSC) في جامعة ولاية أريزونا وهي تحوي على ما يزيد على ٢٠٠٠ نص. وتنحصر تواريخ النصوص مابين عامي ١٩٩٨ و٢٠٠٠، إلاّ أن تاريخ معظمها ينحصر بين ٢٠٠٧ و٢٠١١. تشتمل قاعدة البيانات على بيانات وتصريحها لمجاميع إسلامية متطرفة شهيرة مثل القاعدة أو الشباب وعلى ملصقات منشورة في منتديات متطرفة على الإنترنيت.

خضعت جميع نصوص قاعدة البيانات إلى عملية ترميز موثوقة. وقام محللو المركز المذكور بتصنيف كل فقرة وردت في كل نص من النصوص، وأحد أصناف الترميز كان (آية) إشارة إلى أية وردت في نص ديني، وسمّي صنف آخر (تأويل) وهو غالباً ما يشتمل على الآيات.

جمعت الآيات القرآنية من البيانات المرمّزة في قاعدة بيانات المركز وجرت فهرستها لتحديد الطريقة التي يستخدم بها المتطرفون الإسلاميون القرآن.

قمنا بفهرسة ١٥١١ آية، وإذا ورد ذكر آية ما في أكثر من نص، سجلنا عدد المرات المكررة (حتى لو وردت نص واحد). وسنقدم تحليلاً نوعياً -مسترشدين بالبيانات الكمية- مع إيلاء العناية بالسياقات التاريخية والعناصر الروائية الجوهرية لتلك النصوص. وفي الختام سنقدم +بعض المضامين للمتخصصين الذين يتولون مهمة صياغة الرسالة المضادة للمتطرفين.

السور

القرآن هو أقدس نص عند المسلمين، وهو عندهم كلام الله المحفوظ والوحي الخاتم لبني الإنسان، ويعتقد المسلمون أن النص أملاه الملك جبرائيل على النبي محمد (ت: ٦٣٢م) بطريق الإعجاز على مدى اثنين وعشرين عاماً في الجزيرة العربية ذات الطابع القبلي القديم. القرآن مقسّم إلى ١١٤ سورة يصنّفها المسلمون على أنها إما مكية أو مدنية تبعاً للمكان الذي كان يعيش فيه محمد عند تبليغه للوحي. والسور المكية التي يعود تاريخها إلى ما بين ٦١٠ إلى ٦٢٢م مختلفة بموضوعاتها عن السور المدنية التي تبعتها والتي ينحصر تاريخها ما بين ٦٢٢ إلى ٦٣٢م في فترة أصبح المحتوى السياسي الاجتماعي، وبضمنه موضوع الحرب، العنصر الأبرز فيها.

وسور القرآن غير مرتبة زمنياً في نصوصها، بل رتبت حسب عدد آياتها من الأطول إلى الأقصر. فهي لا تنقل الحوادث التاريخية متسلسلة بالطريقة التي تنتهجها التوراة أو كتب الأناجيل؛ لكنه وكأنه يلقي خطاباً يشير إلى عناصر أو يسرد أجزاءً من قصص (نجد كثيراً منها في التوراة أو العهد الجديد) لدعم مختلف المفاهيم وتوضيحها لمستمعيه.

لقد توصل تحليلنا للمحتوى المرمّز في قاعدة البيانات أن المتطرفين الإسلاميين يقتبسون غالباً من السور التالية (مرتبة حسب كثرة استخدامها): (سورة رقم (٩)- التوبة، سورة رقم (٣)- آل عمران، سورة رقم (٤)- النساء، سورة رقم (٢)- البقرة، سورة رقم (٨)- الأنفال، سورة رقم (٥)- المائدة، سورة رقم (١٢)- يوسف، سورة رقم (٢٢)- الحج، سورة رقم (٤٧)- محمد، سورة رقم (٦١)- الصف، سورة رقم (٦٣)- الأحزاب).

ولما كان معظم السور أعلاه هي الأطول من بين مجموع القرآن، فهن المنطقي أن نتوقع الاقتباس منها أكثر من غيرها. لكن ذلك غير صحيح. فقد

لوحظ أن المتطرفين قد استشهدوا بسورة التوبة (ذات الـ١٢٩ آية) خمسة أضعاف استخدامهم لسورة أطول منها وهي سورة الأنعام (ذات الـ١٦٥ آية)، واستشهدوا بسورة آل عمران (ذات الـ٢٠٠ آية) أربعة أضعاف ما استشهدوا بسورة أطول منها قليلاً وهي سورة الأعراف (ذات الـ٢٠٦ آيات). والفرق في هذه الحالات يظهر في حقيقة أن سورتي (آل عمران والتوبة) هما مدنيتان، بينما السورتان (الأنعام والأعراف) الأقل اقتباساً منها هما مكيتان.

يجدر بالذكر أن جميع هذه السور هي مدنية باستثناء عدا سورة يوسف. وسبب كون هذه السورة استثناء من هذا العامل المشترك هو كثرة تكرار جزء من الآية ٢١ منها وهو: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾. فهو بمثابة تنبيه يكثر في نصوص المتطرفين يريدون أن يأكدوا به أن خطة الله ثابتة لا تتغير في خضم الفوضى والمعاناة من الحرب. وتستخدم دائماً في ختام نصوصهم الخطابية.

الآيات:

هناك طريق آخر في النظر في استخدام المتطرفين للقرآن وهو النظر في الآيات المنفردة التي يتكرر الاحتجاج بها. كما نلاحظ فيما يلي أن هناك آيات يستشهد بها غالبا وهي لا تعود الى سور يشار إليها بتكرار. إن الآيات التي يشار إليها أكثر (أو أجزاء منها) مبينة في المخطط التالي وقد أدرجت حسب كثرة تكرارها. والملحق يورد النص ويعطي نبذة موجزة عن كل آية من الآيات.

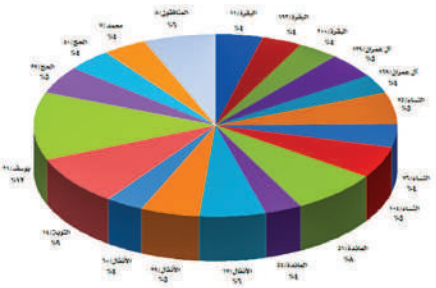

يبين لنا المخطط أعلاه أن ثلاثة من أربع عشرة آية مما يستشهد به تكراراً موجودة في سورة النساء (الآيات ١٠٤ و٧٥ و٧٦). وواحدة فقط في سورة البقرة مع كونها أطول سورة في القرآن وتعداد آياتها ٢٨٦ آية.

سورة النساء مدنية وأغلب مقاطعها يعود تاريخها إلى عام ٦٢٥م، وهي تعالج عددا من القضايا التي مرّ بها المجتمع المسلم المدني المحاصر بالمحن بعد معركة أحد، وبضمن ذلك الاهتمام بالأرامل والأيتام الذين خلّفهم القتلى من المسلمين. وغالباً ما يستخدمها المتطرفون في التطرق إلى مواضيع مثل تحمل المصاعب وأهمية قتال الكفرة الظالمين الذين اضطهدوا الرجال والنساء والأطفال. والآية ١٠٤ منها تسلّي المؤمنين وتحثّ المؤمنين على تحمّل تلك الصراعات يحدوهم الأمل. في الوقت نفسه، تحضّ الآية ٧٥ المؤمنين على الدفاع عن الضعفاء في مواجهة الظلم، خصوصاً النساء والأطفال الذين يستنجدون طلباً للعون.

والأمر اللافت أن الآية ١٣٩ من سورة آل عمران هي التي تصدرت آياتها فهي تقول: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. أن كون هذه الآية في قائمتنا لوحدها -رغم ان السورة كثيراً ما يستشهد بها- يوحي بوجود مجموعة كبيرة من الآيات في هذه السورة ولا يوحي بوجود عدد صغير من الآيات البارزة (كما هو الحال في سورة يوسف). والسورة مدنية ويرجع تاريخها الى عام ٦٢٥م بعد معركة أحد حيث هزم المسلمون.

فهي تجمع دروساً مستفادة من نصر المسلمين في معركة بدر في عام ٦٢٤م بدروس أشدّ لهزيمتهم في أحد. فالآية ١٠٢ من آل عمران، مثلا، تحث على التجلد وعدم الاستسلام لليأس فتقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ». والآية ١٦٩ من آل عمران تواسي المسلمين الموتورين بوفاة إخوانهم في الدين في معركة أحد فتقول: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. وهذه الآية هي من أهم الآيات الخاصة بالشهادة في القرآن.

سورة التوبة:

لقد لاحظنا سابقاً أن سورة التوبة هي من أكثر السور التي يشير إليها المتطرفون من القرآن. وهي سورة مميّزة لأسباب عديدة؛ منها أنها السورة الوحيدة في القرآن التي لا تفتتح بالبسملة، أي ذكر: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. وسبب حذف البسملة غير معروف لكن علماء المسلمين يقدمون تفسيراً لذلك من بين اثنين، وهو ملاءم لهذا التحليل، وهو أن ذكر البسملة يؤكد رحمة الله وسورة التوبة تتحدث عن غضب الله ونقمته، ولهذا فقد حذفت البسملة بشكل مقصود للتأكيد على هذه النقطة.

ضمن هذه السورة نجد الآية التي نوهنا عنها وهي «آية السيف» وهو الآية (٥) منها، حيث تقول: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

بلّغ محمد أتباعه بسورة التوبة في حوالي عام ٦٣٠ في خضم المعارك المستعرة بين المدينة ومكة، أي حرب الدولة مع المدينة القبلية. لاحظ الإشارة إلى «الأشهر الحرم» وهي عادة القبائل العربية في عدم شن الحروب خلال أشهر معينة من السنة. وعبارة «حيث وجدتموهم» واضحة أيضاً لأن قلب مكّة (حتى في أيام الوثنية) كانت (حرماً) لا يجوز فيه سفك الدم (حتى للحيوانات أو انتهاك حياة النبات).

أضفى مفسرو القرآن المتحمسون على الآية الخامسة هذه صفة (النسخ) فجعلوها ناسخة. فلأن الآية هي من أواخر ما نزل من الآيات المدنية، فهم يقولون أنها ألغت كل ما سبقها من آيات في القرآن التي تدعو إلى الصبر والعفو والسلام، وهو اجتهاد في التفسير من جانب العلماء، لكن المسألة مختلف عليها اختلافاً شديداً. مع ذلك فإنها آية يوردها المحللون مثل (جينكنز-٢٠٠٨) و(روشاندل وغادة- ٢٠٠٦) كثيراً حسب فهمهم في بيان ظاهرة التطرف الإسلامي المنطوي على العنف.

غير أن تحليلاتنا كشفت عن وجود ٣ استشهادات «لآية السيف» فقط من بين ٢٠٠٠ نص راجعناه، أورده المتطرفون في وقت جرى الاستشهاد بالعديد من الآيات الأخرى من سورة التوبة. ففي الواقع، كانت الآية الأكثر وروداً استشهد بها المتطرفون هي الآية ١٤ من سورة التوبة، وهو إكتشاف مهم للغاية. تقول الآية: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾. وغالباً ما تستخدم هذه الآية في مستّهل محتوى معين هو أخبار «المعركة التي تحقق انتصارا». وهي أخبار تحكي هجوماً ناجحاً جرى على الكفار (الأمريكيين مثلاً).

لاحظ أن هذه الآية تستخدم كلمة «يعذبهم» ثم «يشف»، وهي أفعال يفترضون بها أن المسلمين قد وقع عليهم الظلم وجرحوا من الكفار، وعليه فقد جاء هذا العمل العسكري رداً على ذلك.

أما مسألة استخدام النصوص المتطرفة لهذه الآية بدلا من (آية السيف) فهو أمر واضح. فالمسألة هنا تتعلق بمسألة خلاص من المحتل.

عين الأعيان ونادرة الزمان

ابن إدريس الحلي

❖ حيدر صباح عبد الرزاق

أبو عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس بن الحسين بن القاسم ابن عيسى العجلي الحلي، ولد سنة (٥٤٣هـ) ذكره المحقق الكركي في إجازته للشيخ حسين العاملي: الإمام الفاضل الأوحد الكامل الجامع بين شتات العلوم الشيخ الفقيه حبر المذهب...[١]

وقد جاء في طرائف المقال: وكان هذا الشيخ فقيها أصولياً بحتاً ومجتهداً صرفاً، حديد النظر عالي الفكر جريئا في الفتوى بصيرا بالأحاديث...[٢]

وقال فيه المحقق التستري: (الفاضل الكامل المحقق المدقق عين الأعيان ونادرة الزمان فخر الدين أبو عبد الله محمّد بن إدريس أو ابن احمد بن إدريس العجلي الرّبعي الحلّي)[٣].

ولقد ذكر المحدث الميرزا حسين النوري: (الشيخ الفقيه والمحقق النبيه أذعن لعلو مقامه في العلم والفهم والتحقيق والفقاهة أعاظم العلماء في إجازاتهم وتراجمهم)[٤].

وذكر تلميذ الميرزا حسين النوري الشيخ عباس القمي صاحب كتاب مفاتيح الجنان في كتابه الكنى والألقاب: (فاضل فقيه ومحقق نبيه فخر الأجلّة وشيخ فقهاء الحلة)[٥].

ولقد قال فيه ابن حجر كلام عجيب في لسان الميزان: (فقيه الشيعة وعالمهم، له تصانيف في فقه الإمامية، ولم يكن للشيعة في وقته مثله)[٦].

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٥، ص٥٦.
٢- طرائف المقال، السيد علي البروجردي، ج٢، ص٤٥٤.
٣- مقابس الأنوار، الشيخ أسد الله الكاظمي ص١١.
٤- خاتمة المستدرك، الميرزا حسين النوري الطبرسي، ج٣، ص٤٨١.
٥- الكنى والألقاب، ج١، ص٢٠١.
٦- فهرس التراث، محمد حسين الحسيني الجلالي، ص٣٤٢.

كثر المدح والإطراء من قبل الفقهاء والمحدثين وأصحاب الإجازات بحق هذا الرجل العظيم، إلا أننا اقتصرنا على ما ذكرناه للاختصار.

مشايخه

١ - الشيخ هبة الله بن رطبة السوراوي.
٢ - السيد أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي.
٣ - الشيخ عربي بن مسافر العبادي.
٤ - الشيخ العماد محمد بن أبي القاسم الطبري.
٥ - جده لامه الشيخ الطوسي قدس سره، كذا في روضات الجنات للخوانساري[٧].
٧ - السيد عز الدين شرفشاه بن محمد الحسيني.
٨ - الفقيه عبد الله بن جعفر الدوريستي.
٩ - الشريف أبو الحسن علي بن إبراهيم العلوي العريضي.
١٠ - خاله الشيخ أبي علي الطوسي[٨].
١١- أم أمه بنت الشيخ مسعود بن ورام، وقد ذكرها السيد محسن الأمين: (ابنتا الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، كانتا عالمتين فاضلتين إحداهما أم ابن إدريس كما ذكر في ترجمته وتأتي أيضا بعنوان أم ابن إدريس وأمها بنت المسعود بن ورام وكانت أم ابن إدريس فيها الفضل والصلاح وقد أجازها وأختها بعض العلماء ولعل المجيز أخوهما أبو علي ابن الشيخ الطوسي أو والدهما الشيخ الطوسي)[٩].

٧- روضات الجنات، محمد باقر الخوانساري، ج٦، ص٢٧٧.
٨- ينظر، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، إبن ادريس الحلي، ص٨.
٩- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج٢، ص٢٧٥.

تلامذته

١ - أحمد بن مسعود الأسدي الحلي.
٢ - الحسن بن يحيى بن سعيد الحلي.
٣ - الشيخ نجيب الدين أبو إبراهيم محمد بن نما الحلي الربعي.
٤ - الشيخ أبو الحسن علي بن يحيى بن علي الخياط.
٥ - السيد شمس الدين أبو علي فخار بن معد الموسوي.
٦ - السيد محي الدين محمد بن عبد الله بن زهرة الحسيني الحلبي.
٧ - الشيخ جعفر بن نما[١٠].

مؤلفاته

١ - السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي.
٢ - التعليقات على التبيان.
٣ - منتخب التبيان. يقول صاحب التفسير: (هذا الكتاب جملة وجيزة في كل سورة بأخصر ما قدرنا عليه وبلغ وسعنا إليه، ولو شرعنا في شرح ذلك وذكر الأقاويل لخرجنا عن المقصود والمغزى المطلوب، وفيما لخصناه واختصرناه كفاية لمن ضبط هذا الفن ويغنيه بذلك على ما عداه)[١١].
٤ - رسالة في معنى الناصب.
٥ - مسائل ابن إدريس.
٦ - خلاصة الاستدلال في المواسعة والمضايقة[١٢].

١٠- المصدر نفسه.
١١- المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، ابن إدريس الحلي، ص١١.
١٢- المصدر نفسه، ص١٠.

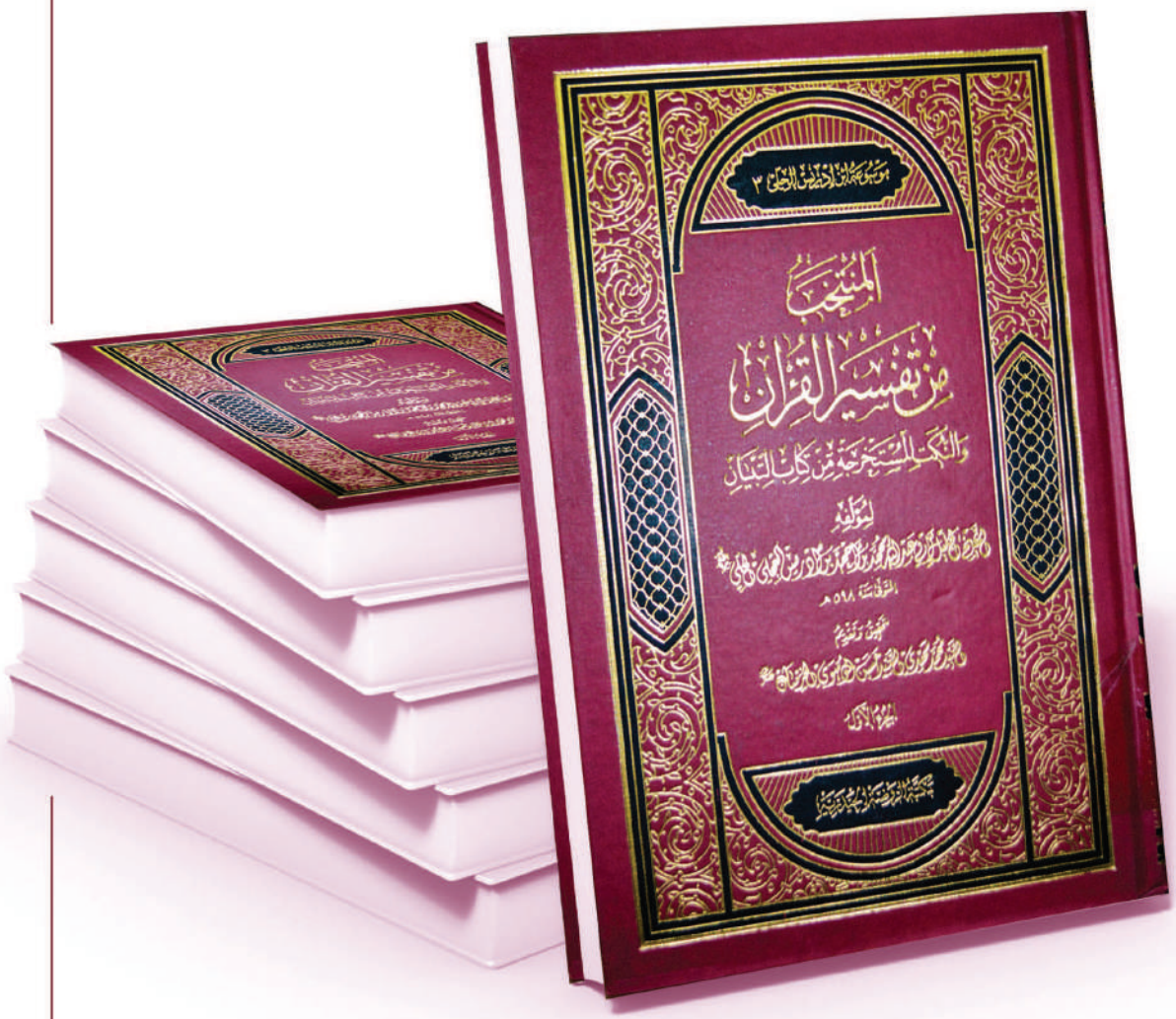

وفاته

كانت وفاته في ظهيرة الجمعة ١٨ شوال سنة (٥٩٨هـ) ودفن في الحلة في محلة الجامعين ويعلو القبر قبة ومأذنة، قال صاحب نخبة المقال الشيخ عباس الحاجياني الدشتي فيه:

ثم ابن إدريس من الفحول
ومتقن الفروع والأصول
عنه النجيب بن نما الحلي حكى
جاء مبشرا مضى بعد البُكى[١٣]

رحم الله هذا العالم الكبير الذي حوى العلوم فرقى بعلمه النجوم، خاض بحار الفقه والحديث والأصول والتفسير، حتى أصبح اسمه رقما مهما في كتب التراجم والرجال ومحط اهتمام الباحثين في البحث والمقال، وحشره الله مع النبي وآله ﷺ في عليين آمين رب العالمين.

١٣- المصدر نفسه.

أضواء من قناديل
رائية الخاقاني في التجويد
ت (٣٢٥ هـ)
الحلقة ١٢

د. كريم الزبيدي

(٤٢) وإن حرفُ لِينٍ كان من قبلُ مدّغماً
كآخرِ ما في الحَمْدِ فامْدُدْه واستجِرْ
(٤٣) مَدَدْتَ لأنّ الساكنينِ تلاقيا
فصارَ كتحريكٍ كذا قالَ ذو الخُبْرِ

ويستأنف الخاقاني أوامره التجويدية متحدثاً هنا عن المد ببيتين يبيّن في الاول شرط المد وفي الثاني يستعرض ميكانيكيته الصوتية وسبب حدوثه.

ولابد لنا من تعريف ببعض الكلمات الواردة في البيت، فنقول:

١-حرف اللين: هو الالف والواو والياء المدية وهي حروف المد واللين، وهي الحروف الثلاثة التي تسبقها حركة من جنسها فالألف مسبوقة بفتحة والياء بكسرة والواو بضمة وهي ما تسمى في عُرف الأصواتيين بالحركات الطويلة، فتسمى الالف بالفتحة الطويلة والياء بالكسرة الطويلة والواو بالضمة الطويلة، إذ أن الفتحة والضمة والكسرة حركات قصيرة.

وسكونها سكون ميت كما سماها ابن الطحان الاشبيلي في قبال السكون الحي لغيرها من الحروف الصحيحة.

ولا يحتاج الألف قولاً إنه ساكن فليس هناك الف متحرك ولكن الواو والياء قد يكونان متحركين فلا بد من تخصيصهما بالسواكن لتمييزهما، وإذا قلنا عنهما إنهما سواكن فلابد أن نخصص سكونهما بعد فتح فهما لينتان فقط أو يكون سكونهما بعد حركة من جنسهما فيكونان حرفي مد ولين، وهذا كله في اصطلاحات علم التجويد بعد القرن الرابع الهجري، أما في أيام الخاقاني مثلا إذا قيل حروف اللين ذهب الذهن الى الحروف المدية أو الحركات الطويلة.

أما علماء النحو فيسمونها بحروف العلة مقارنة بالحروف الصحيحة، رغم أن البعض يسمي الواو والياء المسبوقة بفتح بالحروف شبه الصحيحة.

٢- مدغم: الحرف المدغم هو ما تم إدغامه وأنجز، إدغاماً تاما كاملا محضاً، سواء كان مماثلا أو مجانسا أو مقاربا لما بعده، أي سُكّن وأدغم فأصبح مشدداً، فكل مشدد مدغم، فالتشديد سكون الحرف يتبعه تحركه فيكون زمن المشدد أطول من الساكن ويبقى عضوا النطق لذلك الحرف في محل تلاقيهما للسكون ولا ينفصلان للعودة ثانية للانطلاق للحركة.

إذن فالمدغم هنا هو المشدد.

٣-آخر ما في الحمد هو كلمة الضّالّين، ففيها الف بعدها لام مشددة.

ونعود للأمر الجديد للناظم، إنه يأمرنا بمد الألف والواو والياء المدية إذا كانت قبل مشدد، بل ويقول (فامددِه واستجرِ) واستجراره بالجيم أي طلب منه الجري، وفعل الأمر بالاستجراء لعله يفيد زيادة المد وتطويله، وإن كانت بالحاء المهملة فلعله يستحسن إنشاءه كالتغريد في السحر حيث نقول استحر الطائر أي غرد في السحر.

المهم في الأمر أنه لم يحدد مقدار المد، كما إننا لن ننسى قبيانه مسبقاً أن المد يكون في أحرف اللين ولم يبين سببه، وذلك بقوله:

(٣٢) وما المَدُّ إلاّ في ثلاثةِ أحرُفٍ
تُسَمّى حروفَ اللّينِ باحَ بها ذِكْرِي
(٣٣) هي الألِفُ المعروفُ فيها سكونُها
وياءٌ وواوٌ يَسكنانِ معاً قَدْرِ

ثم يشرع في البيت الثاني ببيان التعليل الصوتي لهذه الظاهرة فيقول انك قد مددت (بعد أن أمرتك بالمد) بسبب التقاء الساكنين وهما حرف المد (واي) وأول المشدد (الساكن) في كلمة واحدة فأصبح كالتحريك وكأنك أضفت حركات للحركة الأصلية فالألف فتحتان بما فيها فتحة الحرف الذي يسبقها فالزيادة المدية الجديدة هي عبارة عن اضافة حركات من جنس الحركة السابقة بلا توقف.

وهذا التفسير الذي أفاض علينا به الناظم كان قد استمده من ذوي الاختصاص من مشايخه ومشايخهم وهم من سماهم بـ(ذو الخُبر).

ويبدو أن الناظم يشارك المبرزين سر زيادة المد في هذا الموضع (حرف المد يسبق السكون) وهو أن الإطالة الصوتية ما هي إلا استراحة استعدادا لمواجهة السكون المفاجئ المربك للحركة التي تسبقه.

وكلنا يعرف أن معالجة التقاء الساكنين (وصلا) عند العرب تعالج بتحريك الأول وبما أن الساكن الأول هنا حرف مد ولين وهو حركة طويلة فتحريكه هنا هو مدة لحركته فزيد في مدتها لتقوم مقام الحركة.

وبالطبع لو كان الحرف المدي في نهاية الكلمة الأولى والساكن في بداية الثانية (كما في: في اللّه، على اللّه، اعبدوا اللّه) فإن المد الطبيعي للحرف المدي يسقط لأن الحفاظ عليه أو زيادته سيشوه اللفظ الأصلي لحرف المد الذي يعود لمده الطبيعي بالوقف على، بينما في حالة وصل الحرف المدي بسان في كلمته لا يتيسر بحال من الأحوال بتر وفصل الحرف المدي عن الساكن الذي يليه لأنه جزء منه، إذن فلابد من جمعهما بزيادة تحريك المدي وتمطيط حركته تخلصاً من التقاء الساكنين.

بينما لو كان الساكن الأول حرفاً صحيحاً لتحرك فضّاً للنزاع ومنعاً للعسر الواقع بسبب التقاء الساكنين.

ويجب أن نعلم أن السكون (أو التشديد) يضيف تحريكاً زائداً لحرف المد يسميه علماء التجويد بالطول أو الإشباع وقد اتفقوا على الزيادة والمقدار في هذا الموضع بينما اتفقوا على الزيادة واختلفوا في المقدار في ما كان سببه الهمز.

والحقيقة ان علماء التجويد المتأخرين قدروها بثلاث ألفات (٦ حركات) بينما تجد المتقدمين لم يستخدموا هذه المقادير الرقمية أبداً بل استخدموا مصطلحات القصر والتوسط والطول، ولخصها ابن الجزري في نشره بأرقام تصل حتى عشر حركات، والضابط في كل مقادير المد هو التلقي والمشافهة بلا إفحاش أو إفراط.

ولا يظن القارئ للبيت أن حرف اللين هو الياء اللينة الواردة مثلا في هاتَيْنِ بتشديد النون في قراءة ابن كثير، لأن الناظم مثّل لذلك بآخر ما في الحمد أي الفاتحة ولأن الأمر هنا بشيء متفق عليه في كل القراءات وهو الطول وفي هاتَيْنِ يكون المد بألف وألفين وثلاثة.

إن من الملفت للنظر أن الناظم لم يتطرق في رائيته لأي مد زائد غير هذا النوع الذي نسميه بالمد اللازم الكلمي المثقل فهو لازم بمعنى لزوم سكونه، وكلمي لأنه في كلمة لا في حرف (من الحروف المقطعة)، ومثقل للتشديد.

ولكن الطول أو الإشباع في المد المتفق عليه بين القراء أيضاً هو ما كان بعد (واي) سكون مخفف كما في كلمة (ءآلآن) في موضعيها في المصحف الشريف في سورة يونس (١٥، ١٩)، وهو ما يسمى بالمد اللازم الكلمي المخفف.

وبنفس الضابط فإن التشديد قد نراه في تلاوة الحروف المقطعة في (الم) فإن ميم اللام تدغم في ميم الميم، أو في (طسم) فإن نون السين تدغم في ميم الميم وهو ما يسمى بالمد اللازم الحرفي المثقل.

وكذلك إذا كان التقاء (واي) مع ساكن غير مدغم في لفظ الأحرف المقطعة في فواتح السور في مثل: ق، ص، ن، فإن مقدار المد متفق عليه وهو الإشباع.

وذكر ابن الجزري في نشره في مبحث المد مصطلحا آخر لهذا المد فقال:

«وأما المد للساكن اللازم في قسميه، ويقال له أيضاً المد اللازم إما على تقدير حذف مضاف أو لكونه يلزم في كل قراءة على قدر واحد ويقال له أيضاً مد العدل لأنه يعدل حركة».

وجرى الخلاف في مقدار المد في الياء اللينة المسبوقة بفتح في مثل عين مريم والشورى أي في كهيعص أو عسق، فإن ياء العين اختلف في مدها قصراً وتوسطاً وإشباعاً، لأنها ليست مدية فمن شبهها بالصحيحة قصرها، ومن شبهها بالمدية مدها مشبعاً، ومن توسط لم يحرمها شبه المدية ولم يعطها مزاياها الصوتية كاملة.

ويشير ابن الجزري في نشره ج١ ص٧١٣ في مراتب المد إلى أن اختيار الخاقاني هو المرتبة الدنيا:

«فإن القراء يجمعون على مده شبعاً قدراً واحداً من غير إفراط لا أعلم بينهم في ذلك خلافاً سلفاً ولا خلفاً إلا ما ذكره الأستاذ أبو الفخر حامد بن علي بن حسنويه الجاجاني في كتابه: «حلية القراء» نصاً عن أبي بكر بن مهران حيث قال:

والقراء مختلفون في مقداره، فالمحققون يمدون على قدر أربع الفات، ومنهم من يمد على قدر ثلاث ألفات والحادرون يمدون عليه قدر ألفين إحداهما الألف التي بعد المحرك والثانية المدة التي أدخلت بين الساكنين لتعدل.

ثم قال الجاجاني وعليه يعني وعلى المرتبة الدنيا قول أبي مزاحم الخاقاني في قصيدته:

وإن حرف مد كان من قبل مدغم
كآخر ما في الحمد فامدده واستجر
مددت لأنّ الساكنين تلاقيا
فصار كتحريك كذا قال ذو الخبر

ولم يتطرق الناظم للمد الزائد الذي سببه الهمز (وهو ما اصطلحنا عليه بالمد المتصل والمنفصل) في قصيدته ولا أعرف السبب لذلك رغم أن هذا المد كان معروفاً في أيام الناظم بين مجيدي هذا الفن ومريديه.

ولا يخفى أن سبب مد الحروف المدية (إذا لاقت الهمز) هو خشية خفاء أو ضياع الهمزة باستعجال وصلها بالهمز وعدم الاستعداد الكافي لنبرها، فالهمز شديد عسير يُستَعد له باستراحة صوتية تمكّن القارئ من غلق الحنجرة بقوة لانطباق الحبلين الصوتيين وهو جهد مميز يحتاج الى ذلك المد الزائد (وهو ما كان فيه الحرف المدي يسبق الهمز في كلمة واحدة) وهو متفق على زيادته ومختلف في مقداره بين القراء من ٣ الى ٦ حركات، أما ما انفصل فمنهم من قصره (حركتين) ومنهم من زاد عليه ولكن لم يسقطه أحد بالكلية إذ ليس بعد الحرف المدي سكوناً.

وأعود لاحتمالات أو أسباب ترك الناظم ذكر أنواع المدود الأخرى سواء ما كان سكونه مخففاً أو ما سببه الهمز، فأقول:

١- يحتمل أنه تركها نسيانا أي لم تخطر على باله مطلقا، أو تصور أنه تناولها، وعندما تداركها قبيل انتهاء القصيدة) التي قرر مسبقا أنها تتألف من واحد وخمسين بيتاً (اعتذر عن ذكرها وضمّنها ضمن أشياء لطيفة يحتاج تلقينها لطالب التعلم إلى مزيد من الصبر، وذلك بقوله:

(٤٩) وقَدْ بَقِيَتْ أشياءُ بعدُ لطيفةٌ
يلَقّنُها باغي التعلُّمِ بالصبرِ

٢-يحتمل أن قافيته الرائية قد نفذ مخزونها الشعري فأسدل الستار دون ذكر المزيد من الأبيات التي قد لا يجد لها كلمات رائية الروي، وهذا مستبعد بل شبه مستحيل لسببين أولهما أن الناظم لم يكن من ضعاف الاطلاع أو ممن كان مخزون قوافيه يُعييه عن استكمال بضع أبيات يكمل بها معلومته النظمية، وثانيهما أن الراء روي يدعوه الشعراء بالحمار (أجلّكم الله) كما سمّوا بذلك بحر الرجز وذلك لسهولتهما واستدرار كلماتهما طوعا بلا جهد جهيد.

٣- لعله اكتفى بالتعليق على ما يُمد قبل مشدد، وعلى العاقل أن يقيس ويطبق حيث أن الضابط أو سبب المد هنا هو السكون مظهراً كان أو مدغماً.

وهذا قد نقبله في حالة تركه لذكر المد الحرفي، لكنه لا يقاس على ما سببه الهمز ولا نتمحّل بفرض تشابه في العسر اللفظي وما شابه.

٤- ولعله اكتفى ببيت المد في حروف اللين التي يليها همز، وهذا مردود لسببين أولهما إنه حصر المعلومة في ذلك البيت بما قبله فتح، وثانيهما إنه قال(همزت على قدرٍ (ولم يقل مددتَ، واحتملنا في حينها أنها تصحيف ولكن سياق تناول المعلومة لا يكفي لقبوله.

٥- ومن غير المحتمل أن تكون معلومة سببية الهمز للمد لم تكن متداولة أو معروفة، إذ إن السبب الروائي المشهور للمد هي رواية ابن مسعود في تعليمه للتلاوة ورفضه قراءة كلمة (الفقرآء) من غير مد وقوله أنه هكذا سمعتها من رسول الله ﷺ.

ويضاف إليه التلقي المسند المتداول الواصل إلينا في أيامنا هذه بين صغار القرّاء فضلا عن كبارهم يدفع هذا الاحتمال.

بقي أن أذكر ملاحظة جديرة بالذكر وهي أن الشارح لهذه الرائية أبو عمرو الداني تناول شرح البيتين واستقصى كل أنواع المدود، والبيتان كما رأيتم لا يحتملان أي معلومة إضافية، وعلى كل حال فإن شرح أبيات شاعر لا يستلزم شرح الموضوع المطروح بلسانه بل بلسان الشارح في كتاب آخر، ومثل هذا قد حصل في عدة أبيات في هذه القصيدة، ووقع أيضا لعدة شراح للمنظومات الشعرية المعروفة، ولا أريد التعليق بأكثر من أنه سرد معلوماتي واجترار لمواضيع يجيدها الشارح فيكثر بها تأليفه.

طلب الحلال

غفران كامل

قد يختلط الأمر على بعضهم مما يظن أن الدين هو أحكام عبادية وحزمة من الأفكار الغيبية لا سواهما، إلا إن جوهر الأمر غير ذلك لأنه أشمل وأوسع من هذا الأفق الضيق بكثير، فالدين الإسلامي منظومة كاملة متكاملة تضم كماً هائلاً من التشريعات التي تمس مختلف مشارب الحياة وتهذب سلوكيات الإنسان وتدفع به شوطاً إلى الأمام، فالأحكام والضوابط الدينية مشت مع الحياة واتسعت حتى استوعبت كل نواحيها، فلم يدع الإسلام صغيرة ولا كبيرة إلا وتحدث عنها، وبيّن كل ما يدور في فلكها، إذ لم تقتصر اهتمامات الإسلام بسلامة العقيدة وتهذيبها من الشوائب بل أهتم كل الاهتمام بجنبة تنمية الإنسان ورعاية مصالحه الدنيوية كما الأخروية

لذلك نجد هناك وفرة واقرة من الآيات الكريمة والروايات الشريفة والأحاديث المنيفة تحدثت وبشكل مستفيض عن أمور تهم وتمس الحياة العامة للناس من قبيل ضرورة ممارسة العمل والتكسب، ولزوم السعي في استحصال الرزق الحلال، لما في العمل من آثار محمودة دنيوية وأخروية على حدٍ سواء لأن العمل فيه تنمية لروح الإبداع والإيجابية، والقضاء على الإتكالية والخمول، وبه ومن خلاله تنهض الأمم وتتقدم الشعوب، فضلاً عن كونه شعبة من شعب العبادة لذلك نجد الإمام الصادق عليه السلام يضم العمل إلى العبادة بل يعطيه موقع الصدارة في الأعمال العبادية، إذ يقول عليه السلام: (العبادة

عشرة أجزاء تسعة أجزاء في طلب الحلال)[1]، كما أعتبر أمير المؤمنين عليه السلام التجارة عز المؤمن، (فكان عليه السلام يقول رجل يُدعى (مصادف): اغد إلى عزك -يعني أذهب إلى السوق-)[2]، وكان السعي في طلب الرزق الحلال كالجهاد في سبيل الله، إذ يقول صلى الله عليه وآله: (الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله)[3]، وهذا المعنى مؤيد من القرآن الكريم، إذ يقرن تعالى المجاهد في سبيل بالعامل من أجل استحصال الرزق، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، والعامل في سبيل استحصال الرزق الحلال كان في عداد الأنبياء كما عبر الإمام الصادق عليه السلام: (من أكل من كد يده كان يوم القيامة في أعداد الأنبياء ويأخذ ثواب الأنبياء)[5]، فحتى الأنبياء والأوصياء كانوا يكسبون رزقهم بعرق جبينهم وكفى بذلك لنا فيهم أسوة حسنة، إذ كانوا يمتهنون مهن مختلفة كالتجارة أو النجارة أو الزراعة أو رعاية الأغنام، وقد أشارت إلى ذلك الآيات والروايات، فلم يصرفهم الاهتمام بنشر أحكام الله بين الناس وأداء مسؤولياتهم الرسالية والتبليغية من الاهتمام بشؤونهم الحياتية ورعاية مصالحهم الخاصة، فنجد القرآن الكريم وفي غير ذات مرة يُطالب الإنسان بالموازنة بين العبادة لله وطلب المعاش والتكسب في الأرض، فالأولى بالمؤمن أن يعمل لدنياه وآخرته معاً، فلا يبذل الجهد ويهدر الطاقة في جانب ويترك الجانب الآخر كالحبل على الغارب، فلا إفراط ولا تفريط، يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6]، وأيضاً قال سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[7]، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[8]، كما كانت للنص القرآني دعوة مفتوحة آناء الليل وأطراف النهار بالجد والاجتهاد والمثابرة ونبذ السكون والسبات والإنزواء، قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[9]، وقد ذكر القرآن الكريم إن الإنسان الناجح والسعيد هو من يستثمر البركات التي أودعها الله تعالى في الأرض ويحسن أدارتها، قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[10]، وهناك طائفة من الآيات الكريمات التي نظمت أحكام التجارة حتى تشعر المسلم بأهمية ترتيب وتهذيب هذه الممارسة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[11]، كما جاء ذكر التجارة في آية الدين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[12].

مما سلف نرى إن الإسلام ضمَّ بين دفتيه جميع مطالب الدنيا وجميع مقاصد الآخرة، وهذا إذا ما دلّ فإنه يدلّ على العمق والتكامل والرحابة التي يتمتع بها الدين الإسلامي، ويعد العمل -عبادة أو معاملة- في نظر الشارع المقدس العامل المشترك بين الحسنيين وهو إصابة الخير العميم في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة.

١- بحار الأنوار، المجلسي، ج١٠٠، ص٩.
٢- المصدر السابق.
٣- المصدر السابق.
٤- سورة المزمل، الآية٢٠.
٥- بحار الأنوار، المجلسي، ج١٠٠، ص٩.
٦- سورة الجمعة، الآية١٠.
٧- سورة القصص، الآية ٧٧.
٨- سورة البقرة، الآية١٩٨ .
٩- سورة الملك، الآية ١٥.
١٠- سورة يس، الآيات ٣٣-٣٥.
١١- سورة النساء، الآية٢٩ .
١٢- سورة البقرة، الآية٢٨٢ .

براعة القرآن الكريم في تسخير الألفاظ

تراكيب الصور القرآنية مشحونة باللمسات الإبداعية الرائعة، والصيغ البلاغية العالية، التي يقدمها القرآن بأسلوب فريد شيق، وبإستعمالات مبتكرة لألفاظ ومفردات إما أن تكون غير مسبوقة ومعروفة عند العرب، ولا هي من وضع لغتهم مثل كلمة سجيل ومشكاة وطور وأباريق واستبرق، أو هي موجودة عندهم في لغتهم القديمة، لكنها ذهبت مع ذهاب مدينتهم الأولى قبل التاريخ، فلا يعرفون مصدر اشتقاقها، أي هي في خانة من فقد أصله وبقي حرفه[1]، أو هي موجودة عندهم ويعرفون مصدر اشتقاقها لكنهم استعملوها بنطاق ضيق يتناسب مع محيطهم البسيط وأغراضهم المحدودة.

إلا أن القرآن استعملها بقوالب مبتكرة لم يألفوها وبنطاق واسع، وأعطى المفردة استحقاقها واستوفى منها كل المفاهيم والأغراض التي وضعت لأجلها، وكذلك عمد القرآن إلى بعض الألفاظ التي كانت متداولة عند العرب، وكان لها معنى اتفاقي جرى عليه العرف، فنقلها إلى معنى آخر فمثلاً (استعمل القرآن لفظة متعارفة في اللغة العربية في معنى لم يستعملها العرب فيه، كنقل لفظة الصلاة الذي هو في أصل اللغة للدعاء إلى هيئات وأوضاع مخصوصة)[2]، وهذه المفردات والألفاظ التي تصرف بها القرآن يطلق عليها بالألفاظ القرآنية، وقد تأتي على نحو الكناية أو

١- ينظر كتاب العقد المنير، السيد موسى الحسني المازندراني، ص٣١٣.

٢- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٨، ص٢٧٣.

❖ سمير جميل الربيعي

المجاز، أو التشبيه أو التمثيل أو الصيغ البلاغية الأخرى، ومثل هذه الألفاظ كثيرة يصعب حصرها، لكننا نورد بعضاً منها على نحو المثال لا الحصر، لنبين ما استفاده القرآن من هذه الألفاظ في التمثيل والتشبيه، كلفظة جرز في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[٣]، وهي من الألفاظ القرآنية وتعني الأرض التي لا زرع فيها لانقطاع الأمطار عنها، وما أراد القرآن من هذه اللفظة إلاّ كناية عن أن الله قادر على إحياء الموتى وإرجاعهم إلى الحياة، إذا ما هيأ لهم أسباب الحياة، مثلما هيأ لهذه الأرض الموات أسباب الحياة فأحياها بسوق الماء إليها، كما أن في القرآن لفظة (الحرث) استعملها مجازاً في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[٤]، للدلالة على مشابهة حرث الدنيا للتجارة والزراعة واستحصال الفائدة، ومشابهة حرث الآخرة بنماء الأجر والثواب وحسن المآب بفعل الطاعات والأعمال الصالحة واجتناب المعاصي، كما أن لهذه الآية باستعمالها لهذه اللفظة القرآنية مدلول آخر هو أن من يسعى للدنيا لا يحصل على شيء من الآخرة، ولكن من يعمل للآخرة يحصل على الآخرة وينال تبعا لذلك الدنيا، أما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّىٰ إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٥] فقد استخدم القرآن في هذه الآية لفظة السراب ولفظة الظمآن - ومعنى السراب في لغة العرب هو (ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري)[٦]، ومعنى الظمآن العطشان - في نطاق لم تستعمله العرب واستحصل من هذين اللفظين مفاهيم لم تعتادها، وفي توصيف وتشبيه قصرت مخيلتهم عن إدراكه، فرسم القرآن من خلال هذه الآية صورة رائعة، تحكي حقيقة الكافر ونفسه المضطربة، إذ شبهت الكافر بالظمآن لوجود علقة التشابه ما بين المشبه والمشبه به فالظمآن من أظهر صفاته هو إنه يتصرف على غير استواء في حالة الظمأ والعطش الشديد وصولاً إلى التخبط والهلوسة وعدم إدراك الواقع، بحيث يرى ويتصور ويعتقد بأشياء وأمور ليس لها وجود في الخارج، كذلك الكافر فإنه يتخبط تخبط العشواء على غير هدىً، فيقدم في التفضيل ما ليس له وجود حقيقي على ما له وجود حقيقي، أو يعتقد ما ليس من الدين في شيء هو الدين بعينه، وكذلك شبهت هذه الصورة أعمال الذين كفروا بالسراب، إذ كلاهما في وجوده قائم على الوهم والخيال، فما يعمله الكافر من أعمال وطاعات وما يقدمه من قرابين وأذكار لغير الله، ويعتقد في قرارة نفسه أنه يحسن صنعا ويحسب أنه على شئ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٧]، هي محض خيال وليس لها وجود أو أثر فعلي ولا تعود عليه بالنفع والفائدة، كحال الظامئ المنقطع بالصحراء يحسب السراب ماءً فيطلبه حثيثاً ليروي عطشه حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً فلا يجني من سعيه في طلب الماء إلاّ زيادة في عطشه وهلاك نفسه، كما بيّنت أن مثلما السراب هو ظاهرة خادعة ينخدع بها خصوص الظمآن، لأن كل الناس يمكنهم رؤية السراب ولكن الذي ينخدع به هو الظمآن فقط دون غيره ، كذلك العقائد الفاسدة والمنحرفة التي يؤمن بها الكافر قد تعرض على كل الناس، لكن الذي ينخدع بها هو الكافر فقط، وبيّنت أيضاً أن الظمآن حينما يأتي السراب ولا يجده شيئاً يكون الوقت قد فاته وإنه شارف على الهلاك وقتها لا تنفعه معرفته واكتشافه لحقيقة السراب، كذلك الكافر عند حلول أجله ومشارفته على الموت حينها لا يجد أثر أعماله التي كان يتقرب بها إلى الآلهة ولا أثر لوجود الآلهة التي كان يعبدها، بل يجد حقيقة واحدة وهي الله ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ ولكن بعد فوات الآوان ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[٨]، وحاصل هذا التمثيل أن من يعبد غير الله ويتقرب إليه بالطاعات والقرابين والأذكار، سوف لا ينفعه ذلك كله، فهو يعلق عمله وطاعته على الوهم والخيال، ويكون رجاءه كرجاء الظمآن الذي يتصور السراب ماء فيجيئه لينتفع به ولكنه سرعان ما يتجلى له خلاف ذلك فيرجع خائبا، فانظر إلى دقة النكتة في انتخاب الصورة أو الرمز أو التمثيل.

٣- سورة السجدة، الآية ٢٧.
٤- سورة الشورى، الآية ٢٠.
٥- سورة النور، الآية ٣٩.
٦- تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي ،ج٢، ص٦٢٥.
٧- سورة الكهف، الآية ١٠٤.
٨- سورة الأنعام ، الآية ١٥٨.

القرآن الكريم وقياس سرعة الضوء

* الدكتور سلمان زين العابدين
كلية العلوم - جامعة بغداد

قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾[2]، لا أريد أن أدخل في تفسير الآيات الكريمة أعلاه، لأنها مفسرة من قبل العديد من كبار علماء الدين الأفاضل، ولكن بمجرد النظر إلى الآية (٤) من سورة المعارج، نرى أن هناك مقارنة واضحة بين سرعة الملائكة والروح وسرعة الإنسان وما لديه من أشياء ليساعده في حياته في الحرب والسلم وهي كثيرة، وإن ما جاء في سورة العاديات (١-٣) يمكن ربطها مع سورة المعارج لإيجاد سرعة الضوء بالأرقام، إننا نعلم عند نزول القرآن الكريم لم تكن المسافات معروفة كما هي الآن حيث كانوا يعرفون مسافة إصبع أو شبر أو قدم أو خطوة أو ذراع أو رمية عصا أو فرسخ ....الخ.

أما في الوقت الحاضر فتبدلت الكثير من الأمور التي تخص المسافة بنظامين الإنكليزي والفرنسي، ثم توحدت وحدات المسافة باتفاق العلماء في المؤتمرات العلمية والدولي فأصبحت تقاس بالنظام الفرنسي (النظام المتري) (ملم، سم، كم) وأجزائها، أما بالنسبة للزمن فكان معروفاً باليوم وأجزاء اليوم (ساعة، نهار، ليل، أسبوع، شهر، وسنة)، حيث كان اليوم يتغير بشكل مستمر مع الفصول

١- سورة المعارج: الآية ٤.
٢- سورة العاديات: الآية ١-٣.

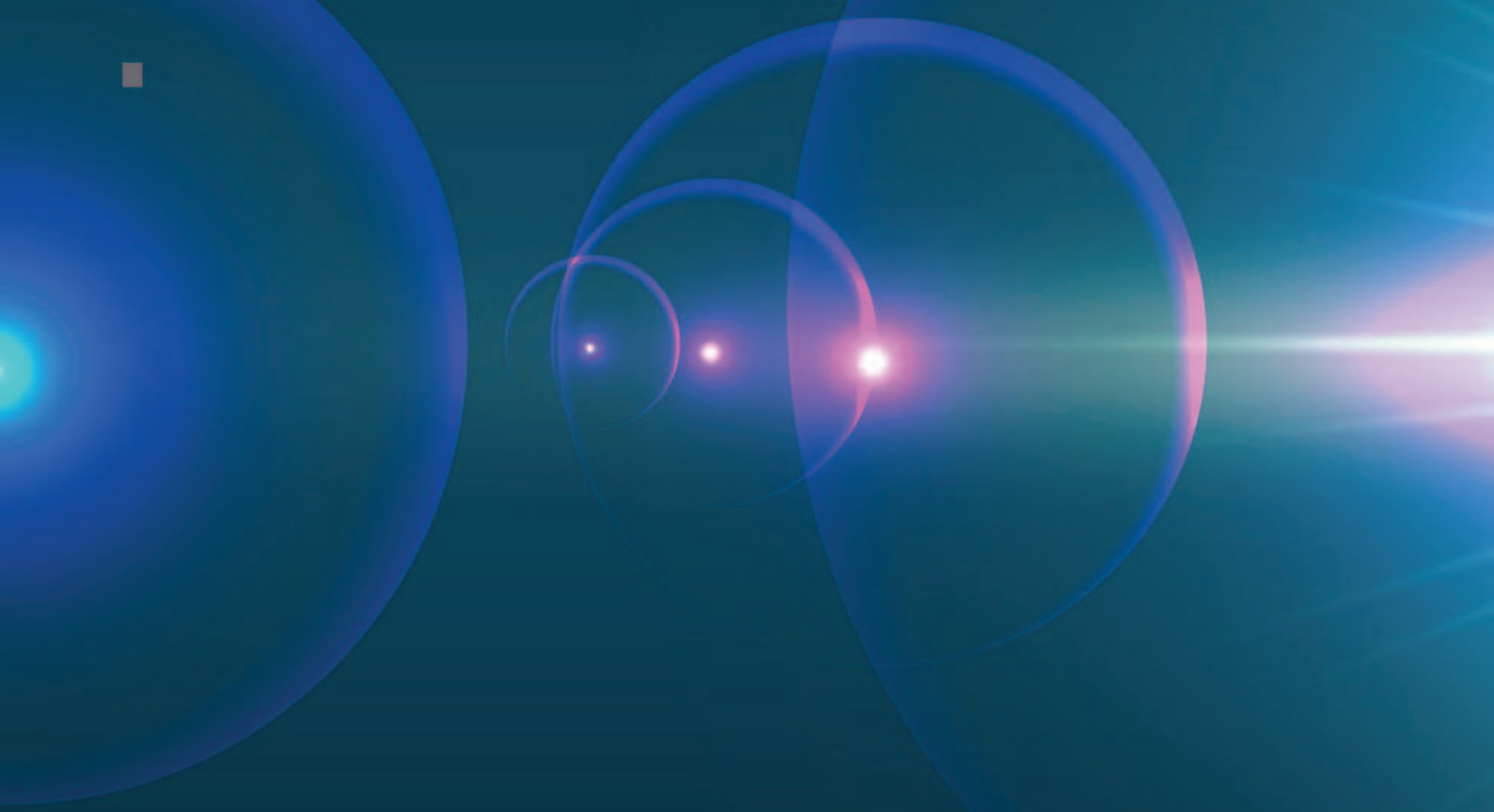

الأربعة فضلاً عن اعتماد الناس على الهلال حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾[٣]، أما بالنسبة للسنة فكانت تعتمد بـ (٣٦٥) يوماً ولا يزال يعتمد هذا الرقم عند الكثيرين، أما في الوقت الحاضر فتوحدت القياسات إلى ثانية ودقيقة وساعة حيث اليوم قسم إلى (٢٤) ساعة، والساعة إلى (٦٠) دقيقة، والدقيقة إلى (٦٠) ثانية، وهكذا، أما بالنسبة للسرعة لعامة الناس عند نزول القرآن الكريم فلا حرج بالقول أن الناس لا يعرفونها رغم بساطة معادلتها فهي المسافة على الزمن وعند توحيد وحدات المسافة والزمن يكون السرعة أما سم/ثا أو م/ثا أو كم/ثا معتمداً على ناتج الرقم، فإذا كان الرقم صغيراً فالواحد يفضل سم/ثا، وإذا كان متوسطاً فيقاس م/ثا، أما إذا كان الرقم كبيراً فقياس كم/ثا كسرعة الخيول العربية الأصيلة، وعند الرجوع إلى المصادر الحديثة لمعرفة سرعة الخيول نرى بالاتفاق أن سرعة الخيول تصل إلى ٦٠ كم/ساعة الموحدة عالمياً، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل باستطاعة الناس معرفة السرعة بالوحدات الحديثة، أو تعرف سرعة الصوت أو سرعة الضوء بالوحدات الحديثة؟ الإجابة كلا، إذن كيف يكون تعريف سرعة الملائكة والروح وهي تساوي سرعة الضوء أيضاً كما سيأتي شرحها كمعادلات رياضية، إن الإجابة على هذا السؤال

٣- سورة البقرة: الآية ١٨٩.

أخذت من علماء الفيزياء والفلك عدة سنين مع تكنولوجيا متقدمة جداً للحصول على الرقم الحقيقي، أما عند (رب العرش العظيم) الذي أوحى إلى الرسول الكريم (ص) بالآية (٤) من سورة المعارج كما ذكر في مقدمة البحث، حيث تُعرف هذه الآية العظيمة المسافات والزمن والسرعة في جميع الأوقات والأزمان وكذلك تربط الماضي بالحاضر وكما يلي: اليوم كما جاء في الآية الكريمة يمكن تعريفه في الوقت الحاضر بـ (٨٦٤٠٠) ثانية إي (١) يوم × ٢٤ ساعة /١يوم × ٦٠ دقيقة / ١ساعة × ٦٠ ثانية/دقيقة = ٨٦٤٠٠ سرعة الخيول العربية عندما تكون سريعة إلى درجة تقدح النار من تحت أرجلها من السرعة، وكما جاء في الآية الكريمة في سورة العاديات ومع اتفاق المصادر الحديثة تصل إلى (٦٠) كم/ساعة كما ذكرنا سابقاً، وأن الجميع على علم بأن الخيول العربية الأصلية كانت تستخدم سابقاً وإلى الوقت الحاضر، وإنه أسرع ما يكون قبل اختراع السيارات والطيارات والصواريخ ...الخ.

ويمكن أن يحسب سرعة الخيل لمدة يوم واحد أي ٦٠كم / ساعة × ٢٤ساعة = ١٤٤٠ كم لكل يوم، وكذلك يمكن حساب المسافة لمدة سنة كاملة أي ١٤٤٠كم / ١يوم × ٣٦٠ يوم / ١سنة = ٥١٨٤٠٠ كم لكل سنة.

ويمكن حساب المسافة لـ(٥٠٠٠٠) سنة كما جاء في الآية الكريمة أي ٥١٨٤٠٠كم/١سنة × ٥٠٠٠٠ سنة = ١٠×٣٥٩٢ أس كم.

هذه المسافة الشاسعة تقطعها الخيل في ٥٠٠٠٠ سنة بسرعة ٦٠كم /ساعة إذا استمر وهذا مستحيل من الناحية العملية للخيول وللإنسان، وذلك لقصر العمر وطاقة الخيول، ولكنها مفيدة للحسابات ومقارنة سرعة الملائكة والروح بيوم واحد مع سرعة ٦٠كم/ساعة نرى أن المسافة ١٠×٣٥٩٢ أس ١٠كم يقطعها الملائكة والروح بيوم واحد أي (٨٦٤٠٠) ثانية حسب التعرف الحالي لليوم، لذا: يمكن حساب سرعة الملائكة والروح من المعادلة:

السرعة = المسافة / ٥٩٢ × ١٠اس ١٠ كم/ ٨٦٤٠٠ ثانية = ٣٠٠٠٠٠ كم/ثانية

وهذا الرقم العظيم الذي اشتغل عليه العلماء عدة سنين هو سرعة الضوء في الوقت الحاضر والذي عرّفه رب العرش العظيم لرسوله الكريم ﷺ وعلى عباده قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة بآية المعارج، نستنتج مما سبق بأن سرعة الملائكة والروح طاقة تنتقل بموجات كهرومغناطيسية ولكن في إي حزمة من الترددات الموجية، وهل يمكن رصدها ومعرفتها سوف تكون الإجابة بكلا، وكما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٤].

٤- سورة الإسراء: الآية ٨٥.

اصطفاء السيدة الزهراء عليها السلام في القرآن الكريم

رغد عزيز

إنَّ التدبر والتدقيق في المعنى القرآني لما ورد في آياته الكريمة لاسيما بما اشتملت عليه من خصوصيات يفتح أمامنا نوافذ نورانية نستخلص منها الدروس والعبر، نرسم من خلالها منهجية نموذجية للحياة الإنسانية، ولم تقتصر النصوص القرآنية التي ورد بها ذكر النساء من غيرها على سرد الأحداث التي دارت حول الأشخاص فحسب، وإنما أشارت إلى مقاصد متعددة سواء من خلال السرد الصريح أو الضمني، ومن بين الأمور التي وردت فيها مسألة (الاصطفاء)، والذي جاء في تفسير معناه أن (الاصطفاء الاختيار يقال: اصطفيته أي اخترته)[1]، ولم يقتصر هذا الاصطفاء على بعض الرجال من دون النساء فقد شملهما معاً مع مراعاة اختلاف المقامات التي شرفهم بها المولى عز وجل، وقد أوضحت آيات الذكر الحكيم حقيقة وقوع الاصطفاء للنساء حين أشار به للسيدة مريم عليها السلام: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[2] وفي تفسيرها (قيل الاصطفاء الأول تقبلها من أمها، ولم تقبل قبلها أنثى، وتفريغها للعبادة، وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب، وتطهيرها عما يستقذر من النساء، والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرأتها عما قذفته اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين، وفي المجمع عن الإمام الباقر عليه السلام معنى الآية اصطفاك من ذرية الأنبياء وطهرك من السفاح واصطفاك لولادة عيسى من غير فحل)[3].

وقد سأل بعض العلماء الإمام الرضا عليه السلام: فأخبرنا هل فسّر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا عليه السلام: فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً..، وأما الثالثة: فحين ميز الله الطاهرين من خلقه فأمر نبيه صلى الله عليه وآله بالمباهلة بهم في آية الابتهال فقال عز وجل: يا محمد ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[4] فأبرز النبي صلى الله عليه وآله عليا والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام)[5]، كما ويذكر الإمام الرضا عليه السلام في نفس الرواية دليلاً آخراً يخص به مولاتنا الزهراء عليها السلام حيث قال: (والآية الخامسة: قول الله عز وجل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[6] خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأمة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ادعوا إلي فاطمة، فدعيت له فقال: يا فاطمة قالت: لبيك يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: هذه فدك هي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين، وقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذيها لك ولولدك « فهذه الخامسة)[7]، كما وقد جاء على لسان من لا ينطق إلا عن وحي يوحى نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله: (يا علي إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي، ثم اطلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين)[8].

وإذا أردنا أن نحصي موارد اصطفاء مولاتنا الزهراء عليها السلام فهي كثيرة وكبيرة، فهي المصطفية على المؤمنات بإيمانها، وبصبرها على الصابرات، وهي المصطفية من بين جميع النساء لتكون بنت سيد الأولين والآخرين وسيد الرسل والأنبياء وزوجة خير الأوصياء وأم أشرف الخلق من بعد نبيه ووصيه الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والمصطفية من بين المؤمنات للمطالبة بحق الولاية ودحض سالبي هذا الحق بالحجة الدامغة والبرهان الواضح، فسلام عليك أيتها المصطفاة يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعثين يوم الحشر مطالبة بالاقتصاص من ظالميك.

١- شرح أصول الكافي: مولي محمد صالح المازندراني، ج١، ص ٢٧.
٢- سورة آل عمران: الآية ٤٢.
٣- التفسير الصافي: الفيض الكاشاني، ج: ١، ص٣٣٥.
٤- سورة آل عمران: الآية٦١.
٥- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٢٥، ص ٢٢٣.
٦- سورة الإسراء: الآية ٢٦.
٧- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٢٥، ص٢٢٥.
٨- الخصال: الشيخ الصدوق، ص٢٠٦.

تغيير الأوامر الإلهية وإنزال الرِّجز على الفاسقين

قال تعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[1]، سبق فيما مضى الإشارة إلى التوبة التي كان من المفروض أن يقوم بها بنو إسرائيل، وهي دخول باب بيت المقدس سُجّداً والتوبة، فعكس بنو إسرائيل الأوامر الإلهية وبدّلوا القول الذي قاله لهم الله، وغيّروه إلى قول آخر، قال بعض المفسرين: قالوا (حنطة) بدل كلمة (حطّة)، في المواهب: (وقال آخر انه بهاطا، أو بحاطا، أو هطا سمهاثا إلى غير ذلك، و بدّلوا الأمر بالسجود أنهم زحفوا على أستاههم، وكيف كان فقد وقع التبديل و المخالفة في ما أمروا به فشملهم العذاب، وهذا جزاء كل مستهزئ بآيات الله و أحكامه)[2]، وفي اللغة الرّجز جاءت بمعنيين: إحداهما: وهو رأي أكثر المفسرين أنه (العذاب)[3]، وهناك معنى آخر ذكره بعض اللغويين وهو الاضطراب[4]، وأنه اسم لداء يصيب الإبل في أعجازها، فإذا أرادت الناقة الوقوف ارتعش فخذاها واضطربت هنيئة كي استطاعت النهوض، والمعنى على ما ذُكر: أن العذاب حينما أصاب بني إسرائيل كان مقترناً بالاضطراب والرعشة (اضطراب الرجلين وارتعاشها) من الخوف والهلع، وهذا يدلّنا على أنه ليس عذابا عاديا، بل هو شديد ومن نوع خاص ترتجف منه الفرائص، ثم يشير سبحانه إلى أن هذا العذاب هو بسبب ما اقترفوا من الذنوب وبسبب الخروج عن طاعة الله سبحانه، خروجا مستمرا كثير الحدوث وكثير الصدور منهم بحيث أصبح لهم عادة و طبعاً ملازما، فاستحقّوا بذلك العذاب الشديد (الرِّجز).

١- سورة البقرة، الآية ٥٩.
٢- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبدالأعلى السبزواري، ج١، ص ٢٥٣.
٣- مجمع البحرين، الطريحي، ج٤، ص١٩، جمهرة اللغة، ابن دريد، ج١، ص٤٥٥، وغيرهما.
٤- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢، ص ٤٨٩، ومفردات الراغب، الراغب الأصفهاني، ج١، ص٣٤١.

أنواع الظلم في المنظور القرآني

إن القرآن الكريم كتاب إلهي تجلت فيه كل الأحكام الالهية والأوامر بما فيها من صلاح للبشرية كافة، ولكل من هذه الأحكام نتيجة، فإن اتبعه المرء يثاب عليه وإن خالفه يعاقب، فهو ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]. كما أن الظلم يعدّ منافيًا للشرائع السماوية وقوانين حقوق الانسان، وقد ذكر القرآن الكريم الظالم في عدة مواطن وصنّف الظلم إلى أقسام عديدة سنبينها في هذا المقال المختصر.

حسين محيي الطائي

الظلم لغة واصطلاحًا[2]

الظُّلْمُ لغة: وَضْع الشيء في غير موضعه. ومن أمثال العرب في الشَّبه: مَنْ أَشْبَهَ أَباه فما ظَلَم. واصطلاحًا: (وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إمَّا بنقصان أو بزيادة؛ وإما بعدول عن وقته أو مكانه). وقيل: (هو عبارة عن التعدّي عن الحق إلى الباطل وهو الجور. وقيل: هو التصرُّف في ملك غير، ومجاوزة الحد).

أقسام الظلم

١. ظلمُ الله:

أ- الشرك بالله: إن الغاية من ظلم الله (جل وعلا) فهو ليس ما يفهم عنه من الوهلة الأولى من ظلم الله للعباد، بل العكس، هذا ولأنه منزّهٌ (جل وعلا) عن هذا الأمر بأصل العقيدة الثانية وهو العدل. واستشهادًا بقول الشيخ المفيد (رضي الله عنه): (اعتقادنا أن الله تبارك وتعالى آمرنا بالعدل وعاملنا بما هو فوقه، والتفضل، وذلك أنه عزّ وجل يقول: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3]، والعدل: هو أن يثيب على الحسنة، ويعاقب على السيئة)[4]. فهو العادل الأوحد، ولكن الغاية هو ظلم العباد لله (جل علا) كيف ذلك، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5]، آتى الله لقمان الحكمة بما كان فيه من إيمان بالأصول الأساسية أولها التوحيد، فاستوجب في نهاية الأمر وصية ابنه ليقول له يا بني لا تشرك بالله، فإنك إن فعلتَ ذلك فقد ظلمتَ الله، وهو إثم لا يغفره، لأنك جعلت لله شريكًا في الخلق وحاشا لله أن يكون له شريك، كما في حديث الإمام الباقر عليه السلام: الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفِرُهُ اللَّه، وَظُلْمٌ يُغْفِرُهُ، وَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفِرُهُ اللَّه فَالشِّرْكُ، قَالَ اللَّه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفِرُهُ، فَظُلْمُ الْعِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِم - عز وجل - ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُهُ، فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يُقَصَّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْض﴾[6].

ب- الافتراء على الله: ويستمر القرآن الكريم في ذكر أنواع الظلم الصادر من الإنسان على الله ومن أشدها ما يفتريه الإنسان على الله من قول ليس هو بقائله، مثل قوله (جل وعلا): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[7]، أي الكذب والبهتان على الله تعالى وفيه تأكيد كثير لما ذكر لثمان مرات في القرآن الكريم ليؤكد عدم نقل قول نُسب إلى الله وهو (جل وعلا) ليس بقائله.

ت- التكذيب بالآيات: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[8]، حينما بعث الله (جل وعلا) موسى النبي إلى فرعون وملئه بالآيات والبراهين، كان رد فرعون في بادئ الأمر ضعيفًا لما تحرّج من قلة حيله أمام هذه الآيات، ثم بعد ذلك تحولت المواجهة إلى مجابهة حين أعلن فرعون الحرب على بني إسرائيل، فكانت عاقبته أنه غرق في البحر وجنوده ليكون لمن بعده عبرة لما ظلم بأفعاله الله (سبحانه وتعالى).

٢. ظلم الناس:

والقصد منه ظلم الناس وما يتعرض له البشر من مظالم من أمثاله من البشر. فالظلم الذي بين المرء والله، فالله تعالى وإن كان نوع الظلم شديدًا فهو مخيّر بين العفو عنه او عقوبته، وإن كان المرء ظالمًا لنفسه فالله (جل وعلا) إما يعفو عنه أو يجعل سبيلًا له للتوبة ولكن إن كان الظلم بين الناس بعضهم لبعض فإن الله تعالى يقف عند هذه المظلمة حتى يتراضى الخصمان فيما بينهما كما عبّر عنه الإمام الباقر عليه السلام. لهذا الظلم أنواع:

أ- الظلم الذي ينتهي بالضلال: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[9]، هذه حال الذين كفروا يوم القيامة عندما يتعرضون لعذاب الله، فيقولون ربنا أشراف وكبار قومنا ظلمونا بصرفنا عن طريق الإسلام وأضلونا عن هذه الطريق. هؤلاء كادوا كيدهم ليضلوا الناس ويصرفوهم عن الرشاد، ففي ذلك خدمة لمصالحهم الدنيوية.

ب- الظلم في كتمان العلم: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[10]، يذكر القرآن الكريم خلال هذه الآية ظلم كبار اليهود لبقية قومهم حينما قالوا إن إبراهيم ومن ذكر من الأنبياء كانوا يهودًا، فما عليهم آن يؤمنوا بنبي لم يأت من قومهم، فظلموا بكتمانهم بديانة إبراهيم الحنيفية بني إسرائيل وضلوهم.

ت- الظلم في الحقوق: وهو ما نهى عنه الله جل وعلا في كتابه من خلال الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[11] بعد آن بيّن الله (جل وعلا) أحكام الدين في آية التداين بما في ذلك من كتابة الديون أو عقود البيع وما شابه ذلك من أحكام العملة، يوجّه الكاتب العادل بالسوية أي لا يزيد ولا ينقص في كتاب المداينة لئلا يدفع بنزاع الطرفين. ولا يتنازع الطرفان ولا يبخسان حق بعضهما، فإن ذلك جحود لحق الآخر وظلم، فإن فعل ذلك فهو أقسط عند الله وأعدل وإن كان العملة قليلة.

٣. ظلم النفس:

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[12]، نزلت هذه الآية على صدر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ليبلغ المسلمين آن الطلاق لا يتم إلا إذا طهرت الزوجة من الحيض ولا

١- سورة فصلت: الآية ٤٢.
٢- الموسوعة الشاملة / موسوعة الخطب والدروس.
٣- سورة الأنعام: الآية ١٦٠.
٤- الاعتقادات للشيخ الصدوق / ص ٦٩.
٥- سورة لقمان: الآية ١٣.
٦- موسوعة أحاديث أهل البيت / الشيخ هادي النجفي، ج٦، ص٣٤٩.
٧- سورة الأنعام: الآية ٢١.
٨- سورة الأعراف: الآية ١٠٣.
٩- سورة الأحزاب: الآية ٦٧.
١٠- سورة البقرة: الآية ١٤٠.
١١- سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
١٢- سورة الطلاق: الآية ١.

يكتمل الطلاق وهي في حيضها، وهو قانون وضعه الله لما خصص له من حدود، فيقول الله (جل وعلا) أن من يتعدّ هذه الحدود فقد ظلم نفسه لأنه ليس له علم بما سيجري في المستقبل من أمور، إن هذا النوع من الظلم يحدث عند الجميع في أي أمر يجهله المرء وقد عبّر عنه الإمام الباقر عليه السلام بأنه النوع الذي قد يغفره الله ويعفو عنه بمشيئته، كما شهدت عليه الآية ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١٣]، أي إن الله يغفر لظالمي أنفسهم إن استغفروا الله، لأن الله تعالى غفور رحيم.

لقد جاءت الشريعة السمحاء لخدمة الإنسان وانصافه من الذل والهوان وعلى المؤمنين من جميع الأديان بوصفها يكمل أحدها الآخر وتعود لمشروع واحد وهو احترام الانسان ونبذ الظلم، فالله لا يحب الظالمين.

١٣- سورة النساء: الآية ١١٠.

الإمام الصادق عليه السلام وحقيقة الصوت

لقد أدرك علماء التجويد أن الهواء هو المادة لإنتاج الأصوات اللغوية، فقالوا: (الصوت هو الحاصل من دفع الرئة للهواء المحتبس بالقوة الدافعة فيتموّج: فيصدر الهواء الساكن، فيحدث الصوت من قرع الهواء بالهواء المندفع من الرئة)[1]

* عبد الكريم الأنصاري

وقد نص محمد المرعشي على أن هواء الزفير المندفع من الرئتين هو الذي تتشكل منه الأصوات اللغوية في الأكثر، وذلك حيث قال: (ثم أن الغالب تلفظ الكلام مع إخراج النَفَس، وأما تلفظها مع إدخاله فيعسر ويقبح به الصوت عند الجهر، فلا شك في كراهته، بخلاف ذلك عند الإخفاء، ولم أجد تصريحا في هذا الباب)[2].

ويبدو أن المرعشي هو أول من ذكر هذه القضية من علماء التجويد كما صرح هو بذلك، وقد نص عليها علماء الأصوات المحدَثون، فقد قال الدكتور أحمد مختار عمر: (ولا نعلم لغة تعتمد على هواء الشهيق في إنتاج الصوت، وإن أمكن أن تنتج أصواتاً خلال عملية الشهيق أيضا، ولكن هذا إن حدث يكون استثناء فقط، ومثل هذه الأصوات تسمع من الأطفال، ونحن نستعملها في حالة النشيج أو الانتخاب)[3]، وهذه القضية قد تبدو من الأمور البديهية، ولكن تقريرها مع ذلك يتم عن إدراك صحيح لعملية إنتاج الأصوات اللغوية، وينبغي أن ينسب تقريرها إلى محمد المرعشي المتوفي سنة ١١٥٠هـ -١٧٣٧ م، مع ملاحظات أن الدكتور أحمد مختار عمر نقل هذه القضية مترجمة عن مصدرين من مصادر الدراسة الصوتية المكتوبة باللغة الإنكليزية[4]، وهذا مثال، وإنْ كان في قضية صغيرة، يوضح لنا ما يمكن أن تقدمه كتب علم التجويد في دراسة الأصوات.

وقال طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى بن خليل المتوفى سنة ٩٦٨هـ) حيث قال في كتابه (شرح المقدمة الجزرية) ((فائدة مهمة: اعلم أن الهواء الخارج من داخل الإنسان إنْ خرج بدفع الطبع يسمى نَفَسا، بفتح الفاء، وإذا خرج بالإرادة وعرض له تموُّج بتصادم جسمين يسمى صوتا، وإذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بسبب آلات مخصوصة يسمى حروفا، وإذا عرض للحروف كيفيات أُخَر عارضة بسبب الآلات تسمى تلك الكيفيات صفات.

والنفس بفتح الفاء: هو الهواء الخارج من داخل الإنسان بدفع الطبع، والصوت هو الهواء الخارج من داخل الإنسان بقوة الإرادة، ويعرض له في مجراه تموج بسبب تضييق مجراه أو غلقه كليا ثم إطلاقه، وهذا ما قرره طاش كبرى زاده، وقد عرّف محمد المرعشي الصوت من جهة أخرى، فقد قال (اعلم أن النفس الذي هو الهواء الخارج من داخل الإنسان إن كان مسموعا فهو صوت، وإلا فلا)[5] وقال في مكان آخر (حقيقة الصوت هي النفس المسموع)[6] وقال أيضا (إن النَفَس ركن الصوت)[7] وهذا تصور لحقيقة الصوت لا مزيد عليه في الوضوح، وتعريف طاش كبرى للصوت يعتمد على طبيعة مصدره ومنشئه، فهو عنده النفس الخارج بالإرادة، لا بالطبع، والطبع هنا يقصد به عملية التنفس المشتملة على شهيق زفير ويقوم بها الإنسان بفطرته لا بإرادته وإن كان بإمكانه التحكم فيها إلى حد ما، وإما تعريف المرعشي فيعتمد على أثر الصوت السمعي، فان كان النفس مسموعاً فهو صوت، وإلا فلا، وهذا التعريف أوضح في تحديد طبيعة الصوت اللغوي، وهو الذي يقرره المحدثون من علماء الأصوات، وقال الدكتور كمال محمد بشر (الصوت اللغوي اثر سمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق)[8]، ونلاحظ أن هذا التعريف لا يتفق تماما مع ما سلف هنا من تعريف للصوت، فقول ابن جني (اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس ممتدا مستطيلا) يشيران إلى أن الصوت شيء آخر غير التنفس وهذا معنى يتردد في كثير من مصادر الدراسة الصوتية العربية القديمة، حتى قال: (لان النفس الخارج من الصدر - وهو مركب الصوت - يحتبس إذا اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف)[9].

ولقد سبق الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) علماء التجويد وعلماء العربية في تعريف الصوت حينما أملى على المفضل الجعفي كما جاء في كتاب توحيد المفضل (وأنبئك عن الهواء بخلة أخرى، فإن ((الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء، والهواء يؤديه إلى المسامع) والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس، لامتلأ العالم منه، فكان يكربهم ويقدحهم، وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به، إلى أكثر مما يحتاج إليه في تجيد القراطيس، لأن ما يلفظ من كلام أكثر مما يكتب، فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم، ثم يمحى فيعود جديداً نقيا، ويحمل ما حمل أبدا بلا انقطاع)[10].

وتعريف الإمام الصادق (عليه السلام) للصوت، لا يتعارض مع التعريف الذي اصطلحه العلم الحديث له، فالصوت في النظر العلمي هو حركة اهتزازية تحدث في الهواء من جسم اهتز فيه، والصوت إذ يحدث الرجات في الهواء تنتقل هذه الرجات إلى طبلة الأذن ليحملها عصب السمع إلى المخ ومما يدل على أن الصوت هو رجات تحدث في الهواء إنه لو أحدث صوت داخل ناقوس مفرغ من الهواء لم يسمع له حس أبدا.

والذي نستنتجه مما تقدم بأن هيكلية الصوت هي ثلاثة أمور، أولها مصدر الصوت وثانيهما جهة السمع وآخرها الوسط الناقل لهذا الصوت، وقد ورد عن إمامنا الصادق (عليه السلام) في إملائه للمفضل بن عمر:-

(فجعل الحواس خمساً تلقي خمسا لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات، فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم تكن فيها منفعة، وخلق السمع ليدرك الأصوات، ولو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب، وكذلك سائر الحواس، ثم هذا يرجع متكافيا، فلو كان بصر ولم تكن الألوان لما كان للبصر معنى، ولو كان سمع ولم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع)[11].

فانظر كيف قدر، بعضها يلقي بعضا فجعل لكل حاسة محسوسا يعمل فيه، ولكل محسوس حاسة تدركه، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات، لا تتم الحواس إلا بها كمثل الضياء والهواء، فإنه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر، لم يكن البصر يدرك اللون، ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع، لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفى عليه من صح نظره وأعمل فكره، إن مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقي بعضا، وتهيئة أشياء أخر بها تتم الحواس، لا يكون إلا بعمل وتقدير لطيف خبير، وكذلك من عدم السمع، يختل في أمور كثيرة، فأنه يفقد روح المخاطبة والمحاورة، ويعدم لذة الأصوات واللحون المشجية والمطربة، وتعظم المؤنة على الناس في محاورته، حتى يتبرموا به، ولا يسمع شيئا من أخبار الناس وأحاديثهم، حتى يكون كالغائب وهو شاهد، أو كالميت وهو حي.

١- القسطلاني: لطائف الإشارات ١/١٨٣ وقال احمد بن الجزري (الحواشي المفهمة ١٣ظ): (مادة الصوت الهواء الخارج من داخل (الإنسان) وأنظر علي القاري: المنح الفكرية ص١٠).

٢- جهد المقل، محمد المرعشي ١١.

٣- دراسة الصوت اللغوي، الدكتور أحمد مختار عمر ص٩٠-٩٢.

٤- هما المرجعان ١١و٣٠ من قائمة مراجعه، كما أشار إلى ذلك في هامش (١) ص٩٢، والأول هو كتاب (علم الأصوات) لمالمبرك، وهو مطبوع في نيويورك سنة ١٩٦٣م، والثاني (مقدمة في علم الأصوات) لمالمبرك نفسه مع عالم آخر، وهو مطبوع في كمبرج سنة ١٩٧٠م.

٥- جهد المقل، محمد المرعشي ٥ظ.

٦- جهد المقل ١٣ظ، وبيان جهد المقل(له) ١٦ظ.

٧- بيان الجهد المقل، محمد المرعشي ١٥.

٨- الأصوات، الدكتور كمال محمد بشر ص٨١، وانظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٦و١٢.

٩- شرح الشافية، الاستربادي ٣/٢٥٩.

١٠- التوحيد، المفضل الجعفي، ص٨٩.

١١- المصدر نفسه، ص٢٢.

الخطاب القرآني والتصدي للمتكبرين

ليس الكبر إلا خلق ذميم لا يقف في ارتداداته عند حدٍ معين، وهو المصدر الأول للشر والعدوان، والكبر يعني حب (الأنا) والاعتداد المبالغ به بالنفس، وأن يحب المرء نفسه ليس أمراً سيئاً، غير أن تجاوزه الحد الطبيعي يعني الأنانية المفرطة المقيتة، فبدلاً من أن يكون المرء عنصراً إيجابياً في الحياة المجتمعية يتحول شيئاً فشيئاً إلى عنصر سلبيٍ مرفوضٍ اجتماعياً في التصرف والسلوك، والقرآن الكريم يتعامل مع هذا النمط السلبي بطريقةٍ حازمةٍ وأسلوبٍ تربويٍ رادعٍ للحد من هذا السلوك الشيطاني المنحرف.

عامر عزيز الأنباري

للخطاب القرآني أنماط متنوعة في التربية وتقويم السلوك كونه كتاباً سماوياً تشريعياً يسعى إلى هداية الناس، فحينما يمر على الصفات الحميدة التي جبل عليها مجتمع الجزيرة من الكرم والشهامة وحسن الجوار وغير ذلك تجده يحث عليها، ويسعى إلى تنميتها لدى الفرد المسلم، وبالمقابل يستأصل ما شاع فيه من الانحراف المتمثل بالعادات والتقاليد السيئة التي تخرج بالمرء عن نقائه وإنسانيته، فيتعرض النص القرآني لها بالنقد والتوبيخ ويأمر بالانتهاء عن اقترافها، وطبيعة التصدي لأمثال ذلك تتفاوت بحسب خطورة الانحراف وانعكاساته، يقول الإمام (أبو عبدالله) عليه السلام: الكبر رداء الله فمن نازع الله شيئاً من ذلك أكبه الله في النار)[1]، فالوصف القرآن يعطينا صوراً متعددة للتكبر ومنها أن أول من اصطنع الكبر والزهو هو إبليس بعد أن أبى الإنصياع لأمرٍ تعالى في السجود لآدم قائلاً: ﴿قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾[2]، يقول الإمام علي عليه السلام في قصة إبليس وتمرده محذراً الناس من مغبة الكبر: (إن احبط عمله الطويل وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة... عن كبر ساعة واحدة)[3]، فقد يصل الكبر بصاحبه أحياناً إلى التجرؤ حتى على الذات الإلهية، والتكبر على الله ومنازعته في ملكه، كما إدعى فرعون الربوبية: ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾[4]، وقوله تعالى: (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري)[5]، ومرة يكون التكبر على الأنبياء: ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾[6]، وتارة يكون الاستكبار على خلق الله في الأرض: ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾[7]، وتتصاعد وتيرة الخطاب القرآني في ذم الكبر والتكبر وحب (الأنا) حتى تصل إلى ذروة استفتاح هذا السلوك وبألوان متعددة من النهي والاستهجان والترهيب، وتأتي العشرات من الآيات القرآنية التي تنذر المتكبرين من عذاب جهنم الذي هو مصيرهم المحتوم منها: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾[9]، الإمامان أبو جعفر الباقر عليه السلام وأبو عبد الله الصادق عليه السلام يؤكدان هذا المعنى ويشيران إلى خطورة الكبر وعواقبه الوخيمة في الحديث المروي عنهما عليهما السلام: (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر)[10]، وقد يسأل سائل عن سر هذا الحذر البالغ من الكبر ولِمَ كان مثقال ذرة؟! كما يصفه الإمامان (عما)، والإجابة عن ذلك بكل بساطة هو أن الكبر ينمو في النفس شيئاً فشيئاً، وتنمو معه دوافع شتى، فالشعور الطاغي لدى المرء بأنه أفضل من غيره يولد لديه الكراهية والحقد من أن يوجد من هو أفضل منه بأي امتياز كان، كما يبعث في نفسه الحسد للآخرين وتمنيه زوال ما بحوزتهم، ويزيد في نفسه الحرص الشديد والخوف من أن يدفعه البذل إلى فقدان امتيازه في التفوق على غيره في كل شيء، فهو قد يبخل بالمال مخافة أن يكون هنالك من هو أكثر منه مالاً، وقد يدفعه حب (الأنا) إلى ظلم الناس لاستلاب ما هم عليه من نعم وخيرات، فيستأثر بها لنفسه، والظلم الذي يكون إحدى نتائج الكبر يستهين بكل الروابط الإنسانية ولا يضع قيمة حتى لأكثرها عمقاً وهي صلة الرحم، فترتكب أبشع الجرائم فلا يتورع الأخ عن قتل أخيه والنص القرآني يصف لنا أول حادثة اغتيال حصلت على وجه الأرض عندما دفع الحسد قابيل إلى قتل أخيه هابيل، وكيف ارتكب هذا الظلم الشنيع بقوله سبحانه: ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾[11]، وهكذا توالت الجرائم التي اقترفت على مر التاريخ الإنساني التي كان يقف وراءها الكبر واشتقاقاته كالأنانية المفرطة وحب السيطرة والاستحواذ والتفاخر وحب الظهور، وفقدت البشرية الكثير الكثير من الأرواح البريئة والأموال والممتلكات والمواهب والعقول، والأدهى من ذلك أن تتحول هذه النزعة من الكبر والتكبر من نطاقها الضيق ومن مستوى أفراد إلى جماعات وشعوب وأمم يتعالى بعضها على بعض، بدعاوى وأفكار شيطانية يبتكرها قادة وزعماء يعانون من أمراض عقد نفسية واجتماعية، ويخفون وراءهم دوافع عدوانية، فيجرون شعوبهم وأممهم إلى حروب وصراعات دموية لا تفوق منها إلا بعد فوات الأوان، ولعل ما أصاب الألمان في الحرب العالمية الثانية، وما جرته تلك الحرب من ويلات على العالم خير دليل على ذلك، بدعوى نقاوة الدم الألماني والعنصر الآري وما إلى ذلك من بدع وأكاذيب اختلقتها الزعامات النازية والتي كلفت المجتمع الإنساني الكثير من المصائب والويلات، و تمخضت عن مقتل

---

١ - روضة الناظرين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي، ص٣٥٦.
٢ - سورة ص، الآية ٧٦.
٣ - نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.
٤ - سورة النازعات، الآية ٢٤.
٥ - سورة القصص، الآية ٣٨.
٦ - سورة المؤمنون الآية ٣٤.
٧ - سورة فصلت الآية ١٥.
٨ - سورة الأعراف، الآية ٤٠.
٩ - سورة الزمر، الآية ٧٢.
١٠ - روضة الناظرين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي، ص٣٥٦.
١١ - سورة المائدة، الآية ٣٠.

وفقدان ستين مليون من البشر راحوا ضحية هذه الأفكار الشيطانية

وعادة ما يحاول المتكبرون والجبابرة إيجاد من يلتف حولهم من المؤيدين والداعمين لأفكارهم العدوانية من خلال تغليف شرورهم بالشعارات البراقة الكاذبة التي تنطلي على السذج والأغبياء من الناس، وقد ابتليت الأمة المسلمة والمجتمع الإنساني بأمثال هؤلاء من المتكبرين ممن سيطرت عليهم (الأنوية) وحب الذات ويصور الشاعر الأستاذ رياض عبد الغني (الأنا) أدق تصوير بقوله:

ويح أل (أنا) مرتع الشيطان ما برحت
لـواحة باللفظي صوّاحة الأمـم
ويـح (الأنـا) كـم تـردى في مزالقها
من عاقل غافل هانساق وهو عمي

فهاهم دعاة التكفير وحملة ألويته يحملون شعارات التوحيد ومحاربة الشرك، وهي في حقيقتها وباطنها أهداف ومآرب شيطانية أحادية التفكير والرأي، كل هم أصحابها هو التسلط والهيمنة وإلغاء الآخر من خلال التصفية الجسدية ممارسة الاستبداد الفكري والعقائدي، والاستهانة بأرواح الناس وممتلكاتهم وحرياتهم

وعلما بأن النص القرآني المتكبرين ويتوعدهم بالعذاب الأليم، يحبب للمؤمنين سمة التواضع ويدعو إلى التحلي به في سياق التربية والتهذيب للفرد والمجتمع على حد سواء، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٤].

١٣- سورة الفرقان، الآية ٦٣.
١٤- سورة الشعراء، الآية ٢١٥.

السعادة والشقاء في القرآن

ميادة قهرمان

وفق التصور الإسلامي الكريم بمعطياته، فإن طرق المرء لأبواب السعادة في مثوى الخلود لا يتم، ما لم يكن قبلها مهيئا للطرق في دار الابتلاء، ويعتمد على رجحان كفة ميزان عمله في محكمة العدل الإلهي نحو السعادة، وهبوط كفة موبقاته المسلك المؤدي لشقائه الأبدي.

وقد صور لنا القرآن الكريم عدداً من المشاهد التي تظهر هول تلك الوقفة في عرصة الحساب، كَرَدٍّ قاطع يفند الادعاءات المثارة من قبل أهل الشبهة منكري مبدأ الثواب والعقاب بعد الموت، ومن تلك الأدلة القرآنية الدامغة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ❖ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ❖ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ❖ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1]، حيث جاء في تفسير الأمثل عن معنى هذه الآية الكريمة: (أراد البعض أن يثبت من الآيات المتقدمة كون السعادة والشقاء ذاتيين، في حين أن الآيات المتقدمة لا تدل على هذا الأمر فحسب، بل تثبت بوضوح كون السعادة والشقاء اكتسابيين، إذ تقول: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ أو تقول ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾، فلو كان من السعادة والشقاء ذاتيين لكان ينبغي أن يُقال (أما الأشقياء وأما السعداء)..)[2]، ويمكن تعريف السَّعادة في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ بأنها: (مُعاوَنَةُ الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، ويضاده الشقاوة، يقال وأسعده الله، ورجل سعيد، وقوم سعداء، وأعظم السعادات الجنة)[3]، ومن المعلوم أن سبل تحصيل السعادة والنجاة من العقاب في معرض الحشر جميعها تقترن بسبل الهداية وخلوص النية لله تعالى عبر منفذ الطاعات وغيرها من الثوابت الإيمانية التي يجب أن يعمل بها المرء في دار العاجلة، للابتعاد عن سبل الشقاية والضلال يدعوهم إليها الشيطان وأتباعه في هذه الحياة، والتي حدَّثت عنها الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿فمن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾[4]، حيث جاء في تفسيرها: (فان المخاطب في جملة ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ هم أولاد آدم وحواء حتماً، لأن هداية الله مختصة بهم، أما الشيطان وذريته الذين أعرضوا عن منهج الهداية الإلهية فإن الخطاب لا يشملهم)[5]، ولأن غاية حملة الرسالة المحمدية الصفوة من العباد هو توعية الفرد المؤمن بضرورة العمل للآخرة ليكون من المستبشرين ومن ذوي السعادة الأبدية، فقد حدَّثَ الإمام الصادق عليه السلام في قوله: (السعادة سبب خير تمسك به السعيد فيجره إلى النجاة، والشقاوة سبب خذلان تمسك به الشقي فجره إلى الهلكة، وكل بعلم الله تعالى)[6]، ومن الأمور الحياتية التي تقلد المرء السعادة هو أن ينشأ في حاضنة مجتمعية صالحة تلك التي يبصر من خلالها أفق النجاة عبر تحصين ذهنيته بالأفكار الإسلامية الفذة التي تقيه من المعاصي الطريق المؤدي للهلاك والشقاء في الآخرة، ولأنَّ منهجية الثقل الأكبر هو إزاحة العبد عن مشارف النار وخلاصه من العذاب، عبر اتخاذه سبل دنيوية تنير دربه للجنان، ومنها تركه لمباهج الدنيا الزائفة، والذي تحدَّثَ عنه عز وجل في قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[7].

١- سورة هود ، الآيات ١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨.
٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٦، ١٦٨.
٣- مفردات ألفاظ القران ، الراغب الأصفهاني، ص٤١٠.
٤- سورة طه، الآية ١٢٣.
٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٨، ص٢١٦.
٦- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٢، ص١٣٠٢.
٧- سورة آل عمران ، الآية ١٨٥.

فاكهة المجالس!!

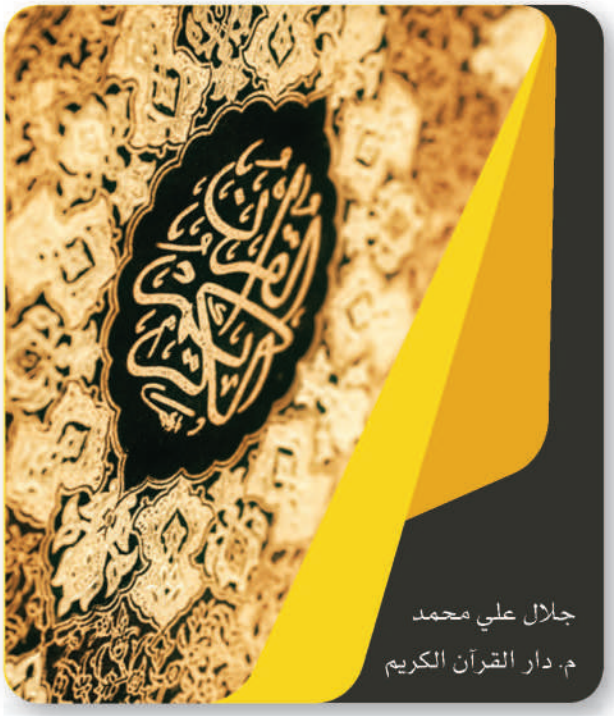

عادة ما ترتبط العلاقات الاجتماعية بمختلف المعاملات التي تستدعي الاحتكاك مع الآخرين مما ينتج عنه أحيانا بعض الخلافات، فيسيء بعضهم الظن ببعض ويلجئهم ذلك إلى تقصّي أخبار مَن يختلفون معهم للإيقاع بهم انتقاما لأنويّتهم، بل يلجأون إلى الانتقاص منهم فيذكرونهم بما يكرهون وينالون منهم في حديثهم بالمجالس، وقد استطاب معظم الناس هذا العمل، إذ لا يكاد أن يخلو مجلس من الغيبة، حتى عُدّت من فاكهة المجالس لكثره تداولها هنا وهناك، لكن من البشاعة بمكان وإمعانا بالتنفير من الغيبة فقد وصفها الله عز وجل بطريقة تشمئز منها الروح البشرية، إذ صوّرها تعالى لنا بأبشع صورة وخص بخطابه المؤمنين وذلك من باب الإشفاق عليهم وحرصه تعالى على أعمالهم من أن ينالها الضياع والتبديد وذلك واضح مما روي عن رسول الله محمد ﷺ: (الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه)[1]، لذلك نهانا الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[2]، هذا هو تأديب الله سبحانه وتعالى لنا، فما أرأفه بنا وما أرحمه لعلمه بنوازع النفس البشرية وطبيعة النفس الأمارة بالسوء.

أما ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام فمنه قول رسول الله ﷺ: (الغيبة أشدّ من الزنا، فقيل: ولِمَ ذلك يا رسول الله؟! فقال: صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحلله)[3]، وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (مَن روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان)[4]، فعلينا والحال هذه أن نتأمل كثيرا قبل أن الخوض في أي حديث عن الناس فهو حتما سيكلفنا الكثير، فشتان ما بين ولاية الله وولاية الشيطان.

١- الكافي للكليني/ ج٢ ص٣٥٧.
٢- سورة الحجرات/ آية ١٢.
٣- الاختصاص للشيخ المفيد/ ص٢٢٦.
٤- الاختصاص للشيخ المفيد/ ص٣٢.

تأملات قرآنية

-١-

روي عن النبي ﷺ: ((ليسَ القرآنُ بالتلاوةِ، ولا العلمُ بالروايةِ، ولكنَّ القرآنَ بالهداية، والعلمَ بالدراية).

تأملات في الحديث:

١- في الحديث دلالة واضحة على أهمية تطوير الإنسان نفسه وتعامله مع كتاب الله تعالى، ومع ما يتعلمه من علوم، فالأحاديث كثيرًا ما كانت تدعو إلى تلاوة القرآن وقراءته وما في ذلك من الثواب العظيم، فضلاً عن توقير القرآن، ولكن لا ينبغي أنْ يتوقف الإنسان عند هذا الحد، بل لا بد له من الارتقاء مع الآيات المباركة الشريفة، فالقرآن نور ويجب أنْ نقتبس من ذلك النور لنرى آثاره في إنارة ظلمات النفس والعمل.

٢- إنَّ الحديث الشريف يحاول أنْ يبيِّنَ بعض الحدود المهمة التي يجب علينا الالتفات إليها، فليست الغاية من القرآن الكريم هي تلاوته فقط، فهناك عدد من الناس يقرؤونه بل يحسنون قراءته ويعرفون مفاهيمه، ولكن لم يؤثر في سلوكهم وتربيتهم، لذلك ورد في الحديث (كم قارىء للقرآن والقرآن يلعنه)، وكذلك الأمر بالنسبة للمتعلمين فليست غاية العلم حفظ الروايات والأحكام، بل العمل والتأثُر والتأثير هو الغاية، فيجب الالتفات إلى ذلك وعدم الغرور بكثرة القراءة مع ما فيها من الثواب، وكذلك كثرة حفظ الأحاديث.

٣- يبيِّنُ الحديث الغاية التي على أساسها وردت تلك الأحاديث الكثيرة في فضل تلاوة القرآن وتعلمه بأنَّ الهداية هي الأساس، والهداية لا تكون إلا بالعلم والتعلم والعمل، فالعمل هو غاية الغايات، قال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)، (إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)، (والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ..) فالعمل هو الغاية والأساس، وهذا ما كان عليه الأنبياء والأئمة والعلماء المصلحون، فتلاوة القرآن يجب أنْ تأثر في النفس بهدايتها وخروجها من الأمارة بالسوء إلى اللوامة فالمطمئنة، فتخرج من السوء والفحشاء والظلم إلى الخير والإحسان والعدل، وكذلك العلم بالدراية ومعرفة الحقيقة من تلك الأحاديث وتطبيقها، لذلك ورد في الحديث الشريف (حديث تدريه خير من ألف ترويه).

٤- إنَّ الإنسان المؤمن مدعوٌّ إلى التفكر والثورة على نفسه التي تزيِّنُ له كثيرًا من الأعمال بأنك قد بلغت الغاية، فتزيِّن لقارىء القرآن القراءة بالصوت الجميل والأحكام والمقامات، وتنسيه هداية نفسه وإصلاحها،

والعالم تزيِّنُ له كثرت حفظه وكلامه وتنسيه أنْ يكون أول العاملين، ليكون قدوة لهم بالعمل لا بالعلم فقط.

في الختام علينا ألا نحوِّل أنفسنا إلى جهاز جامد ماديٍّ نتلوا القرآن كما هو يتلوه، ونردد الأحاديث كما يرددها، فنكون جهازًا آخر لا ينفع نفسه.

من الأنبياء الذين تكرر ذكرهم في الكتاب العزيز نبي الله سليمان عليه السلام، وإنه نبي مرسل كما هو حال أبيه داود عليه السلام، ولا يكاد يذكر نبي الله داود عليه السلام إلا وذكر ابنه نبي الله سليمان عليه السلام، وقد آتاه الله تعالى ملكا عظيما فهو من الملوك الذين ملكوا الأرض جميعا.

نبي الله سليمان عليه السلام

الشيخ طه العبيدي

نسبه ومقامه عليه السلام

هو سليمان بن داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون، ويرجع نسبه إلى إسحاق بن نبي الله إبراهيم عليه السلام. وهو نبي ابن نبي من سلالة الأنبياء عليهم السلام. استخلفه أبوه وهو ابن ثلاثة عشر سنة ومكث في ملكه أربعين سنة. وقد ورث سليمان داود عليه السلام ورثه في الملك. ولما قبض داود عليه السلام ولي سليمان أعطاه الله تعالى ما لا يعطي غيره فقد أعطاه الحكمة وهو صبي، وسخر له الريح تجري بأمره، وعلمه منطق الطير، وسخر له الجن والسباع والطير، وأسال له عين القطر، حتى قال عليه السلام: (أوتينا ما أوتي الناس وما لم يؤتوا، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا، فلم نجد شيئا أفضل من خشية الله في المغيب والمشهد، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة الحق في الرضى والغضب، والتضرع إلى الله عز وجل على كل حال)[1]. وجاء في القران الكريم الناطق عن لسانه عليه السلام في قوله تعالى: (وأوتينا من كل شيء)[2] أي من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات[3].

قضائه عليه السلام في عهد أبيه عليه السلام

في أيام ملك نبي الله داود عليه السلام، عرضت عليه قضية فيها تخاصم رجلان من بني إسرائيل، حيث إن احدهم كان له كرم[4] ونفشت[5] فيه غنم لرجل آخر بالليل وقضمته[6] وأفسدته، فجاء صاحب الكرم إلى داود عليه السلام فاستعدى على صاحب الغنم فقال داود عليه السلام: اذهبا إلى سليمان ليحكم بينكما، فذهبا إليه، فحكم نبي الله سليمان عليه السلام بأن يدفع صاحب الغنم غنمه لصاحب الحرث باللبن والصوف ذلك العام كله. وقد اعتمد في حكمه على أن صاحب الكرم يحفظ زرعه نهاراً، وعلى صاحب الغنم أن يحفظ غنمه ليلاً لكي لا تنفش في زرع الناس. وقد كان الحكم أن تكون رقاب الغنم لصاحب الزرع، وإنما صدر حكم نبي الله سليمان عليه السلام، على أن الغنم لم تتلف الزرع كله، بل أكلت الثمار فقط - عناقيد العنب -، ولو كانت الغنم قد أتلفت الزرع كله لحكم برقابها لصاحب الزرع. وفي رواية : إن نبي الله داود عليه السلام لم يحكم بالقضية وكذلك نبي الله سليمان عليه السلام منتظران حكم الله تعالى فيها، فجاء الحكم بالوحي لنبي الله سليمان بدليل قوله تعالى : (ففهمناها سليمان). وفي رواية أخرى، إن نبي الله داود عليه السلام حكم برقاب الغنم لصاحب الكرم عوضا عما تلف، وحكم نبي الله سليمان عليه السلام بلبن وصوف الغنم لتلك السنة وذلك لعدم تلف الأصل ولم يقضم إلا الثمار، وان في القادم من الأيام يأتي ثمارها. وفي رواية أخرى: إن نبي الله داود عليه السلام عرض قضية الحرث والغنم على نبي الله سليمان عليه السلام ليحكم فيها ليختبره ويظهر عقله وعلمه، ومن خلاله يظهر مقامه للناس ويتم تعيينه وصيا للنبي عليه السلام[7]. ورغم اختلاف الحكم في القضية الواحدة، إلا إنهما أصابا الحكم بدليل قوله تعالى: (وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)[8].

الظاهر من الروايات الأنفة الذكر تتضح الأمور الآتية:

١- إن حكم نبي الله داود عليه السلام مطابقاً لما حكم به الأنبياء من قبله.

٢- جواز نسخ الأحكام، فإن ما حكم به نبي الله سليمان عليه السلام هو حكم ناسخ الذي حكمت به الأنبياء من قبله، وإن حكمه جرى فيما بعد.

٣- إن تعيين الولي أو الوصي من الله تعالى، لا بالانتخاب ولا بالشورى. فإن نبي الله داود عليه السلام استخلف سليمان عليه السلام بأمر من الله عز وجل وبوحي إلهي، فلما أخبر بني إسرائيل ضجوا من ذلك، وقالوا : (يستخلف علينا حدثا وفينا من هو أكبر منه)! فدعا أسباط بني إسرائيل فقال لهم: (قد بلغتني مقالتكم فأروني عصيكم، فأي عصا أثمرت فصاحبها ولي الأمر بعدي)، فقالوا: رضينا، وقال: ليكتب كل واحد منكم اسمه على عصاه فكتبوا، ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتا وأغلق الباب وحرسه رؤوس أسباط بني إسرائيل، فلما أصبح صلى بهم الغداة، ثم أقبل ففتح الباب فأخرج عصيهم وقد أورقت عصا سليمان وقد أثمرت، فسلموا ذلك لداود عليه السلام[9].

مجلس قضائه عليه السلام

أوتي نبي الله سليمان عليه السلام الحكمة وهو صبي، وكذلك الملك، ثم إن مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام لم تنحصر في الدعوة والتبليغ فحسب بل يكونوا حكاما وقادة على الناس يبغون إيصال العباد إلى سبل الله تعالى وتسييرها نحو الكمال، ومن ذلك يستوجب أن يكونوا على مستوى يتناسب مع مهامهم . وكان لنبي الله سليمان عليه السلام كرسي للقضاء، فقد روي أن نبي الله سليمان عليه السلام لما ملك بعد أبيه أمر باتخاذ كرسي ليجلس عليه للقضاء وأمر بأن يعمل بديعا مهولا بحيث أن لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب، فعمل له كرسي من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحففوه بأربع نخلات من ذهب، شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر، على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الآخرين نسران من ذهب، بعضها مقابلا لبعض وجعلوا من جنبتي الكرسي أسدين من الذهب، على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر، وقد عقدوا على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث يظل عريش الكروم النخل والكرسي، قال: وكان نبي الله سليمان عليه السلام إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرحى المسرعة، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها، وتبسط الأسدان أيديهما فتضربان الأرض بأذنابهما ، فكذلك كل درجة يصعدها عليه السلام، فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج نبي الله سليمان عليه السلام فوضعاه على رأسه عليه السلام، ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسران والطاووسان والأسدان ماثلات برؤوسها إلى نبي الله سليمان عليه السلام ينضحن عليه من أجوافها المسك والعنبر، ثم تناولت حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فيفتحها نبي الله سليمان عليه السلام ويقرؤها على الناس، ويدعوهم إلى فصل القضاء، ويجلس عظماء بني إسرائيل على كراسي من الذهب المفصصة بالجوهر وهي ألف كرسي عن يمينه، وتجئ عظماء الجن وتجلس على كراسي الفضة عن يساره وهي ألف كرسي حافين جميعا به، ثم يحف بهم الطير فتظلهم، وتتقدم إليه الناس للقضاء، فإذا دعا بالبينات والشهود لإقامة الشهادات دار الكرسي بما فيه مع جميع ما حوله دوران الرحى المسرعة ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما، وينشر النسران والطاووسان أجنحتهما فيفزع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب ولا يشهدون إلا بالحق[10].

١- الخصال، الشيخ الصدوق، ص٢٤١.
٢- سورة النمل : الآية ١٦.
٣- البداية والنهاية، ابن كثير، ج٢ص٣٣.
٤- العنب.
٥- رعت ليلا بغير راع.
٦- القضم : الأكل بأطراف الأسنان
٧- ينظر بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٤ص١٢٩.
٨- سورة الأنبياء، الآية ٧٩.
٩- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٣ص٤٤٧.
١٠- ينظر المصدر نفسه، ج١٤ص٨٥.

المغفرة في القرآن الكريم

اهتمّ القرآن الكريم بذِكر التوبة والاستغفار في آيات عديدة، وسور مختلفة، وبيان فضل الله في قَبول توبة التائبين، وغفران ذنوب المستغفرين، وهو شأن جميع البشر، يذنبون ساعة الغفلة والغواية، ثم يجدون باب رحمة الله أمامهم مفتوحًا لقبول توبتهم، فيستغفرون ويتوبون، فيَقبل الله منهم تلك التوبة؛ ليرحم الإنسان.

تأليف:
- حجة الإسلام محمود رضا هاشمي النسب
- حجة الإسلام محمود الحسيني أبو المعالي
http://www.masjed.ir

التحفيز

تحدث الله إلى الناس مرارًا وتكرارًا بأنه غفورٌ ورحيم، ومصداق ذلك قوله الكريم ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]. يقول ابن عباس: (آخى النبي الأكرم ﷺ بين رجلين، أحدهما من الأنصار والآخر من ثقيف، فخرج الثقفي مع النبي في غزوة واستودع زوجته لدى الأنصاري، فكان يؤمّن لها الطعام، حتى ذات يوم رآها في الحمام تغتسل، فأذن لنفسه بالدخول وأراد تقبيلها، فوضعت يدها على وجهها، فقبّل يدها، فقالت له: سبحان الله، أهكذا تصون الأمانة؟ فقد خنتَ الأمانة وعصيت ربك، فندم ندمًا شديدًا وانصرف إلى الجبال ليستغفر ربه، فعاد الثقفي وقصّت زوجته الحال، فخرج الثقفي باحثًا عنه فوجده ساجدًا مستغفرًا، فقال له الأنصاري: لقد ارتكبتُ إثمًا عظيمًا، بما خنتُ أخي، فقال له الثقفي: هيا بنا إلى رسول الله ﷺ ليرشدنا إلى الصلاح. فعادا إلى المدينة ودخلوا على الرسول الأكرم أثناء صلاة العصر، فأوحى الله إلى النبي ﷺ إن الله قد غفر له وقبل توبته، وتلا عليهما هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

٢- سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

أسباب المغفرة

ذكر الله مسألة العفو عدة مرات، وقال الراغب الأصفهاني: (العفو هو التجافي عن الذنب، إلا أن المعنى هذا جامع، ويقال: عفاه واعتفاه، أي: قصده متناولًا ما عنده، وعفت الريح الدار: قصدتها متناولة آثارها، وقيل: (وعفوت عنه) أي قصدت إزالة ذنبه صارفًا عنه وهي كناية عن عفو الله بما يحبط الذنوب عن عبده. ويتبين من خلال المفهوم أن المغفرة هي تعبير عن الكسوة، ولها تفرعات والعفو أحدها، أي يحبط الذنوب عنه ليخفيها، فإنه ستار الذنوب؛ ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا﴾[2] و﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[4]. يعفو الله ومن ثم يغفر. وقد ذكرت هاتان الكلمتان معًا في المرات العشرة كلها بهذا الترتيب. بالطبع لا بدّ أن نذكر أن العفو والمغفرة لا يشملان الآثار التشريعية والآخروية فقط، بل يشملان الآثار التكوينية والدنيوية، وذلك بشهادة القرآن الكريم ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[5]. وهذه الآية تشمل آثار الذنوب في الدنيا وعواقبها قطعًا، فما يدعو الله إلى مغفرة عبده هو:

- الإيمان: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾[6].
- التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[7].
- اتباع الأنبياء: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[8].
- العفو عن الناس ومسامحتهم: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[9].
- الإنفاق في سبيل الله: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[10].
- الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[11].
- عبادة الله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ - يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[12].
- اجتناب كبائر الذنوب: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[13].
- الدعاء والاستغفار والإنابة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾[14].
- دعاء أولياء الله للإنسان: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ - قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[15].

وفي المقابل، هناك ذنوب تمنع المغفرة وقد ذُكرت في القرآن الكريم:

- الشرك بالله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[16].
- النفاق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[17].
- الكفر: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[18].

بالطبع، ما ذكر عن منع المغفرة هي المراحل أو الأعمال التي تكون قبل القيام بالتوبة النصوحة؛ فالتوبة توجب العفو والمغفرة؛ كما قال تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[19].

تعزيز الشعور

بعد غزوة بني المصطلق اختلف إثنان من المسلمين على بئر ماء كان أحدهما من طائفة الأنصار والآخر من المهاجرين، فطلب كل منهما معونة أتباعهم، فكان ممن انحاز إلى الأنصاري هو (عبدالله بن أبي) والذي لُقّب برأس النفاق، فغضب على المهاجري وقال للمهاجرين (سَمّن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ)، فقام زيد بن أرقم، وهو يافع، ومشى به إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوّه، فأخبره الخبر، وقد مشى عبدالله بن أبيّ إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أنّ زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال ولا تكلّمت به. وكان في قومه شريفًا عظيمًا. فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل حَدَبًا على ابن أبيّ بن سلول ودفعًا عنه، ولكنّه ﷺ وقف على أنّه إن لم يتّخذ خطة حازمة فقد يستفحل الأمر، لذلك أمر أن يؤذّن بين الناس بالرحيل في ساعة لم يكن يرتحل المسلمون فيها، فمشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتّى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتّى آذتهم الشمس، ثمّ نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نيامًا، وإنّما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبدالله بن أبيّ، حطّ المسلمون رحالهم في المدينة، وفي تلك الأثناء نزلت آيات تصدّق زيدًا، وتكذّب عبدالله بن أبي، حيث قال سبحانه: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[20]. فلمّا نزلت هذه الآيات حسب قوم أنّ النبي ﷺ آمر بقتله لا محالة، فعند ذلك ذهب ابنه عبد الله إلى الرسول ﷺ، وقال: يا رسول الله إنّه بلغني أنّك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلًا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منّي، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل رجلًا مؤمنًا بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: بل نترفّق به ونحسن صحبته ما بقي معنا». وكان عبد الله بن أبيّ بقرب المدينة، فلمّا أراد أن يدخلها جاء ابنه عبد الله حتّى أناخ على مجامع طرق المدينة، فقال: ما لك ويلك؟ قال: والله لا تدخلها إلاّ بإذن رسول الله ﷺ ولتعلمنّ اليوم مَنْ الأعزّ ومن الأذلّ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن خلّ عنه يدخل، فقال: أمّا إذا جاء أمرُ رسول الله فنعم، فشكا عبد الله ابنه إلى رسول الله ﷺ. ولمّا نزلت الآيات المتقدّمة وبان كذب عبد الله قيل له: إنّه نزل فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك، (فلوى رأسه ثمّ قال: آمرتموني أن أؤمن فقد آمنت، وآمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما بقي إلاّ أن أسجد لمحمد)، فعند ذلك نزلت الآيتان التالية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[21]. وكان زيد بن أرقم جليس الدار محزونًا، فأخذ النبي الأكرم بأذن زيد وقال له: (وفت أذنك يا غلام).

٢- سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
٤- سورة النساء: الآية ٩٩.
٥- سورة الشورى: الآية ٣٠.
٦- سورة طه: الآية ٧٣.
٧- سورة الأنفال: الآية ٢٩.
٨- سورة آل عمران: الآية ٣١.
٩- سورة النور: الآية ٢٢.
١٠- سورة التغابن: الآية ١٧.
١١- سورة الصف: الآية ١١.
١٢- سورة نوح: الآية ٣-٤.
١٣- سورة النساء: الآية ٣١.
١٤- سورة القصص: الآية ١٦.
١٥- سورة يوسف: الآية ٩٧ - ٩٨.
١٦- سورة النساء: الآية ٤٨.
١٧- سورة المنافقون: الآية ٣.
١٨- سورة التوبة: الآية ٨٠.
١٩- سورة التوبة: الآية ٦.
٢٠- سورة المنافقون: الآية ٧.
٢١- سورة المنافقون: الآية ٥.

سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَ الْفَجْرِ (١) وَ لَيالٍ عَشْرٍ (٢) وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ (٣) وَ اللَّيْلِ إِذا يَسْرِ (٤)هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ (٦) إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ (٨) وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ (٩)وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ (١٤)

الإعراب:

(وَالْفَجْرِ وَ لَيالٍ عَشْرٍ) الواو حرف قسم وجر، والفجر مجرور بواو القسم، و الجار و المجرور متعلقان بأقسم، والواو حرف عطف، و ليال عطف على الفجر مجرور وعلامة جرّه الفتحة نيابة عن الكسرة المقدّرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، و قد أشار ابن مالك إلى هذه القاعدة الهامة بقوله:

وكن لجمع مشبه مفاعلا
أو المفاعيل بمنع كافلا

أي إن الجمع المشبه مفاعيل أو المفاعيل في كونه مفتوح الفاء وثالثه ألف بعدها حرفان كمفاعل أو ثلاثة أحرف أوسطها ساكن كمفاعيل يمتنع صرفه لقيام الجمع فيه مقام علتين وهي الجمع وعدم النظير في الواحد وشمل قوله مفاعل ما أوله الميم كمساجد أو ما أوله غيرها كدراهم وشمل قوله المفاعيل ما أوله ميم كمصابيح أو ما أوله غيرها كدنانير ثم أن من هذا الجمع ما يجيء معتل اللام وهو قسمان أحدهما ما قلبت فيه الكسرة التي بعد الألف فتحة فانقلبت الياء ألفا نحو عذارى ولا إشكال في منع التنوين والآخر ما استثقلت في بابه الفتحة فحذفت ولحقها التنوين وإلى ذلك أشار بقوله:

وذا اعتلال منه كالجواري
رفعا و جرّا أجره كساري

يعني أن ما كان من الجمع المعتل اللام مثل جوار في كونه على ما ذكر من حذف الحركة يجري مجرى سار في لحاق التنوين بآخره في حالة الرفع والجر فتقول هذه جوار و مررت بجوار، وسكت عن حالة النصب ففهم أنه على الأصل كالصحيح فتقول رأيت جواري. وعشر نعت لليال، قالوا وأراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة وجاءت منكرة لفضيلتها على غيرها من ليالي السنة وقيل هي

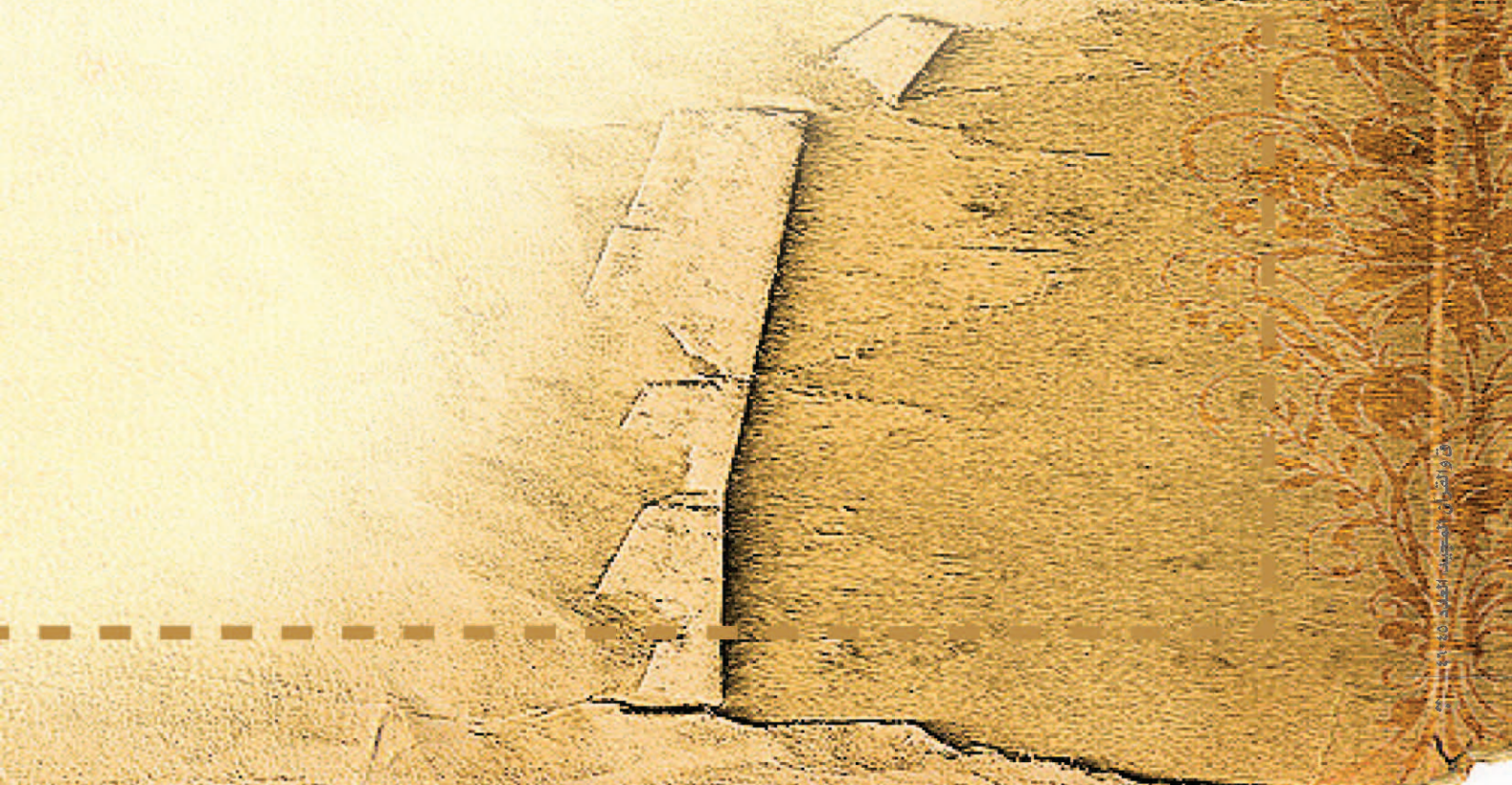

العشر الأواخر من رمضان وقيل العشر الأول من المحرم (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ) منسوق على الفجر وليال وكذلك الوتر والليل وإذا ظرف متعلق بفعل القسم المحذوف أو بفعل قسم مقدر وعلى ذلك جرى أبو البقاء، أي أقسم بالليل وقت سراه، ويسري فعل مضارع مأخوذ من السرى وهو خاص بسير الليل ... وقال في المصباح: (سريت الليل وسريت به سرى والاسم السراية إذا قطعته بالسير وأسريت بالألف لغة حجازية ويستعملان متعديين بالباء إلى مفعول فيقال سريت بزيد وأسريت به والسرية بضم السين وفتحها أخصّ يقال سرينا سرية من الليل وسرية والجمع السّرى مثل مدية ومدى، قال أبو زيد ويكون السرى أول الليل وأوسطه وآخره وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيها لها بالأجسام مجازا واتساعا قال الله تعالى: (والليل إذا يسر) والمعنى إذا يمضي، و قال البغوي: إذا سار وذهب وقال الفارابي: سرى فيه السم والخمر ونحوهما وقال السرقسطي: سرى عرق السوء في الإنسان وزاد ابن القطاع على ذلك، وسرى عليه الهمّ آتاه ليلا وسرى همّه: ذهب، وإسناد الفعل إلى المعاني كثير في كلامهم نحو: طاف الخيال وذهب الهم وأخذه الكسل والنشاط وقول الفقهاء سرى الجرح إلى النفس معناه دام ألمه حتى حدث منه الموت وقطع كفّه فسرى إلى ساعده أي تعدّى أثر الجرح وسرى التحريم وسرى العتق بمعنى التعدية وهذه الألفاظ جارية على ألسنة الفقهاء وليس لها ذكر في الكتب المشهورة لكنها موافقة لما تقدم)، هذا وقد حذف بعض القرّاء ياء يسر وقفا وأثبتوها وصلا وأثبتها بعضهم في الحالين وحذفها بعضهم في الحالين لسقوطها في خط المصحف الكريم وموافقة رؤوس الآي، وعبارة ابن خالويه: (وكان الأصل يسري فخزلوا الياء لأن تشبه رؤوس الآي التي قبلها فمن القراء من يثبت الياء على الأصل ومنهم من يحذفها إتباعا للمصحف)، (هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) معنى الاستفهام هنا التفخيم والتعظيم للأمور المقسم بها وفي ذلك خبر مقدم وقسم مبتدأ مؤخر ولذي حجر نعت وعلى ذلك تكون هل و ما في حيّزها جواب القسم وقيل هي للتقرير كقولك ألم أنعم عليك إذا كنت قد أنعمت والجواب على هذا محذوف مضمر وتقديره لنجازينّ كل أحد بما عمل وقدّره الزمخشري لتعذبنّ وقيل الجواب مذكور وهو إن ربك لبالمرصاد، وعبارة السمين: (وقال مقاتل هل هنا في موضع إن تقديره إن في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم، وهذا قول باطل لأنه لا يصلح أن يكون مقسما عليه على تقدير تسليم أن التركيب هكذا وإنما ذكرته للتنبيه على سقوطه)، (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ، إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ) الهمزة للاستفهام التقريري أي قد رأيت لأن المراد بالرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم، عبّر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في الجلاء والبيان للمشاهدة والعيان، ولم حرف نفي وقلب وجزم و(تَر) فعل مضارع مجزوم بلم وكيف اسم استفهام في موضع نصب بفعل على أنه مصدر واختاره الزمخشري وابن هشام في المغني والمعنى أي فعل فعل ربك وأعربه ابن خالويه حالا قال (كيف استفهام عن الحال) ولكنه ممتنع لأنه إذا أعرب حالا يكون من الفاعل ووصفه تعالى بالكيفية مستحيل وغير جائز و الجملة المعلقة بكيف الاستفهامية سدّت مسدّ مفعولي (تَر)، وفعل ربك فعل ماض وفاعل وبعاد متعلقان بفعل، وإرم بدل أو عطف بيان من عاد ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث وهذا الإبدال إيذان بأنهم عاد الأولى القديمة وقيل إرم بلدتهم أو أرضهم التي كانوا فيها، وعبارة أبي البقاء: (إرم لا ينصرف للتعريف والتأنيث قيل هو اسم قبيلة فعلى هذا يكون التقدير إرم صاحب ذات العماد لأن ذات العماد مدينة وقيل ذات العماد وصف كما تقول القبيلة ذات الملك وقيل إرم مدينة فعلى هذا يكون التقدير بعاد صاحب إرم و يقرأ بعاد إرم بالإضافة فلا يحتاج إلى تقدير ويقرأ إرم ذات العماد بالجر على الإضافة) وذات العماد نعت لإرم أي الطول، قال الزمخشري: (و ذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة ومنه قوله رجل معمد وعمّدان إذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين) ، .. والتي صفة ثانية لإرم وجملة لم يخلق صلة التي ومثلها نائب فاعل يخلق وفي البلاد متعلقان بـ(يُخْلَقْ) وقرىء يخلق بالبناء للمعلوم فتكون مثلها مفعولا به (وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ) الواو عاطفة وثمود عطف على عاد والذين نعت لثمود وجملة جابوا صلة الذين والصخر مفعول به وبالوادي متعلقان بـ(جابُوا) والباء للظرفية فهي بمعنى في وحذفت الياء لأنها من ياءات الزوائد (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتادِ) عطف على عاد وذي الأوتاد نعت لفرعون كان يدق للمعذب أربعة أوتاد ويشدّه بها مسطوحا على الأرض ثم يعذبه بما يريد من ضرب وإحراق وغيرهما، وفي المصباح: (الوتد بكسر التاء في لغة الحجاز وهي الفصحى وجمعه أوتاد و فتح التاء لغة وأهل نجد يسكنون التاء فيدغمون بعد القلب فيبقى ود ووتد الوتد أتده وتدا من باب وعد أثبته بحائط أو بالأرض وأوتدته بالألف لغة) (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ) الذين إما مجرور على أنه صفة للمذكورين أو منصوب على الذم، قال الزمخشري: (أحسن الوجوه فيه أن يكون في محل النصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون) وجملة طغوا صلة الذين وفي البلاد متعلقان بطغوا (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ) الفاء عاطفة وصبّ فعل ماض مبني على الفتح وعليهم متعلقان بـ(صبّ) وربك فاعل وسوط عذاب مفعول به، ...(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ) الجملة لا محل لها لأنها تعليل لما قبلها و إن واسمها واللام المزحلقة وبالمرصاد متعلقان بمحذوف خبر إن.

إعراب القرآن و بيانه، ج١٠، ص: ٤٧١

الصفات الإلهية

علم اللّه

القسم الأول

الشيخ قاسم الخفاجي

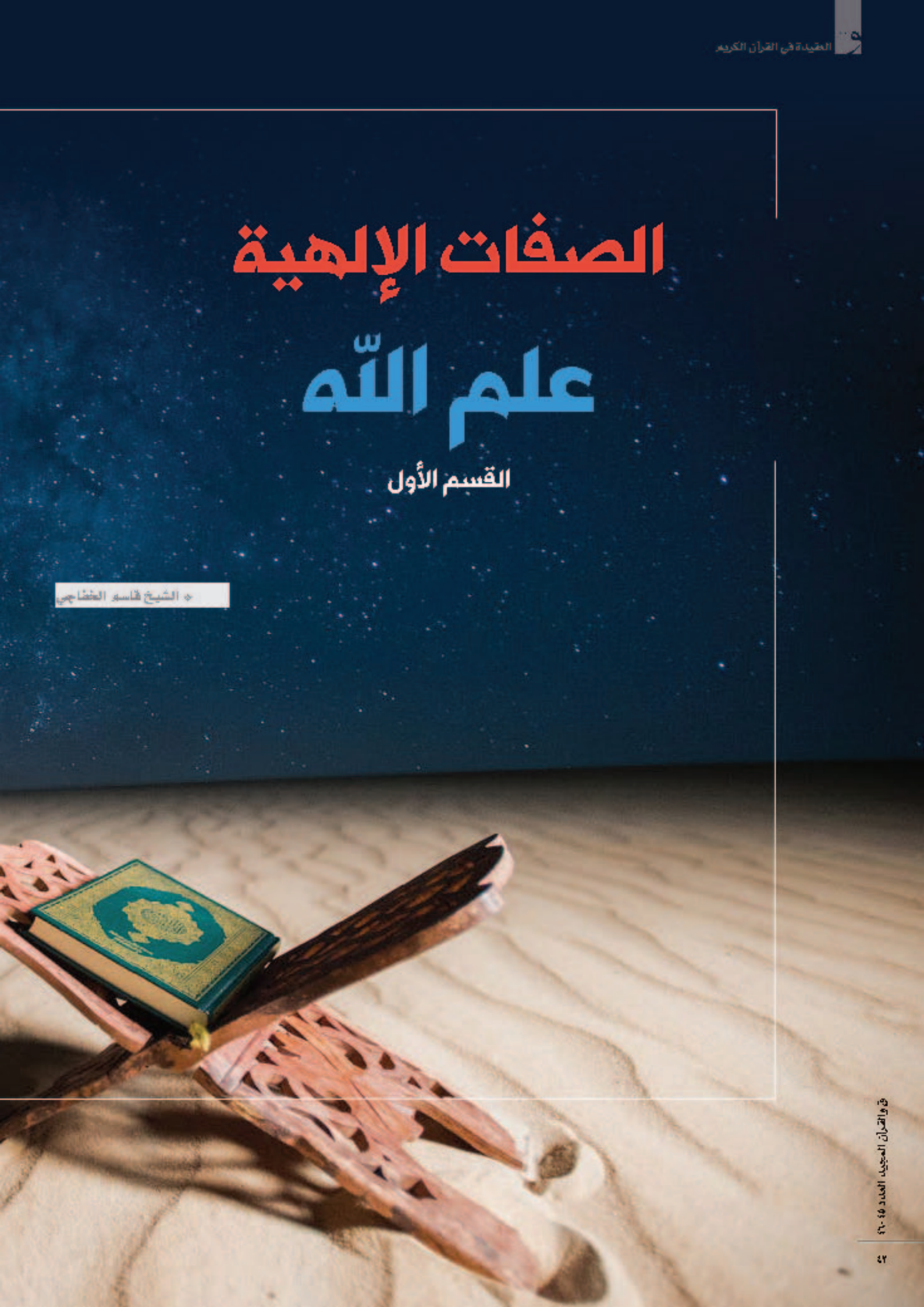

مر علينا في الأعداد السابقة دليل النظم والتناسب الذي استنتجنا من مطالعة هذا الكون الفسيح المترامي الأطراف، ووجدنا أن المجرة العظيمة ونزولا إلى الذرة التي لا ترى إلا بالمجهر يخضع جميعه إلى نظام واحد، ووجدنا أن كل جزء في هذا الكون يؤدي وظيفة مؤدية إلى كمال، وقد ذكرنا -كمثال- الذرة النخامية الموجودة في الإنسان وأهميتها في تنظيم باقي الغدد، ومن ملاحظة هذه الدقائق الموجودة في النظام الكوني علمنا أن موجدها وواضعها عالم بها وبجميع ما أوجد، وهكذا الكلام في كل الموجودات فإن الذي أوجد الكون بكل ما أوجد فيه من الموجودات - بما فيها من أجهزة وأعضاء وخلايا في بعضها- في هذا الكون، وذوق بعضها في تكميل بعض، علمنا أنه عالم بها كلها قبل وجودها.

ومر علينا أيضا، أننا وجدنا في المخلوقات علما -كل بحسبه- فلا بد أن يكون خالقها عالما وعلمه أكمل، لأن ما في المخلوق كله من خالقه وما عند الخالق أكمل، وكما قال الحكماء- العلة أكمل من المعلول.

ولكن ما هو العلم، وبأي وجه يمكن أن نصفه به جل وعلا، وهل هو أزلي؟ وهل يعلم بالأشياء بعد أن أوجدها؟ هل يسع علمه كل شيء؟ هل لعلمه مراتب.

ما هو العلم؟ اختلف المتكلمون والحكماء في تفسير العلم منهم من قال- إن العلم أمر بديهي لا يحتاج إلى تعريف، فإننا نعلم بوجداننا أن لنا علما- وقال آخرون- إن العلم اعتقاد الشيء على ما هو به، ويفسر به أن كل معلومة تأتينا وإن كانت بلا دليل فهي علم، وقال غيرهم- أنه حصول صورة الشيء في العقل، إلى غير ذلك من التعريفات[1]، وجميع هذه التعريفات أخذت العلم الحصولي وتركت العلم الحضوري، فإن العلم أما حصولي وأما حضوري والحصولي هو أن تحضر صورة الشيء لا نفس الشيء عند العقل كما تحضر صورة الشجر عند العقل لا نفس الشجرة، وهذه التعريفات يمكن إجراؤها في الممكنات (المخلوقات) ولا تشمل واجب الوجود (الخالق)، نعم هناك تعريف أدق وهو (حضور المعلوم لدى العالم)[2]، يمكنه أن ينطبق في الممكن والواجب، ومعنى هذا التعريف أن المعلوم نفسه يكون حاضرا عند العالم وبعبارة أخرى حضور نفس واقعية المعلوم من دون وساطة الصورة الذهنية بين المعلوم وبين العالم، وبهذا المعنى يمكن أن نصف علمه تعالى شأنه.

هل علمه تعالى شأنه أزلي؟

لما كان الخالق تبارك وتعالى واجب الوجود فهو موجود من الأزل ولم يسبقه عدم، ولما كانت صفاته هي ذاته فتكون صفاته أزلية.

القرآن وعلمه عز وجل

الله الأعلم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[3].

هذه الآيات المباركات تحكي إجمالا عن حادثة استخلاف النبي آدم عليه السلام وجهل الملائكة علة الاستخلاف، وتعليم آدم عليه السلام بعض العلم واعتراف الملائكة بجهلها بكل شيء إلا ما علمها الله تعالى، ومنه نعلم أن ما عند آدم والملائكة كله من عند الله تعالى شأنه، ولم يقتصر القرآن الكريم على هذا البيان عن علم الله تعالى فهناك العشرات من الآيات التي تتحدث عنه ويكفينا إشارات من بعضها، قال تعالى- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[4]، وقول- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[5] وقال- ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[6] وقال في سورة يونس- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[7] وقال في سورة الأنعام- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[8] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾[9].

وهنا نرى أن مجموع هذه الآيات يتحدث عن علمه بما يخلق ولهذا خلق.

ويبقى الكلام في باقي الأسئلة نذكره في العدد القادم.

١- بحار الأنوار للإربلي (١/ ٥٣-٥٦).
٢- محاضرات في الإلهيات الشيخ جعفر سبحاني ص٩٤.
٣- سورة البقرة الآيات ٣٠-٣٣.
٤- سورة الأنعام الآية ١١٧.
٥- سورة الملك الآية ١٤.
٦- سورة الأنعام الآية ١٢٤.
٧- سورة يونس الآية ٦١.
٨- سورة الأنعام الآية ٥٩.
٩- سورة الأنعام الآية ٦٠.

تحت شعار

مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأمورِ المُسْلِمينَ
فَليسَ بِمُسلِم

تقيم الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

المؤتمر العلمي
الدولي السنوي الثامن

١٧ـ ١٨ ذو القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ١٠ـ ١١/٨/٢٠١٧م

محاور المؤتمر

المحور الأول
مشكلات الشباب (كلا الجنسين):

١) الشباب والدين.
٢) الانحرافات الفكرية والسلوكية.
٣) البطالة.
٤) ضعف الثقافة العامة والتخصصية.
٥) مشاكل الزواج.
٦) الأمية وتسطيح المعلومات.
٧) استثمار الوقت.

المحور الثاني
مشكلات الأسرة:

١) الطلاق.
٢) أزمة السكن.
٣) العنف الأسري.
٤) ضعف صلة الأرحام.
٥) التفكك الأسري.

المحور الثالث
تحديات معاصرة أخرى:

١) الغزو الثقافي.
٢) التطرف والتكفير.
٣) الخطاب الديني.
٤) الفقر.
٥) المواطنة.
٦) اللغة العربية وأزمة الهوية.
٧) شبكات التواصل الاجتماعي.
٨) العمل التطوعي.
٩) التكافل الاجتماعي.
١٠) ثقافة الحوار والرأي الآخر.
١١) النظام العام بين الالتزام والتجاوز.

ترسل البحوث إلى البريد الالكتروني: confrence8@gmail.com
07723593705